ابن سينا

الشفاء

المنطق

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - إيران ١٤٠٥ هـ ق

ابن سينا

الشفاء

المنطق

١ - المدخل

تصدير الدكتور طه حسين باشا

مراجعة الدكتور ابراهيم مدكور

تحقيق الأساتذة : الأب قنواتي - محمود الخضيري - فؤاد الإهواني

نشر وزارة المعارف العمومية
الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

المطبعة الأميرية - القاهرة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م)

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم المقدسة - ايران ١٤٠٥ هـ ق

الفهرس

صفحة

المدخل

المقالة الأولى

صفحة

المقالة الثانية

تصـــدير

لحضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا

حين تحدّث الناس عن الاحتفال بالعيد الألفى لأبى العلاء ، رأيت أن خير مشاركة تقدمها مصر فى هذا الاحتفال، إنما تكون بإحياء ما وصل إلينا من آثار شيخ المعرّة، ونشره نشرا علميا محققا. واقترحت ذلك على وزير المعارف فى ذلك الوقت ، نجيب الهلالى باشا ، فأقرّ الاقتراح ، وألف لجنة لتنفيذه. وأمدّ هذه اللجنة بما احتاجت إليه من عون مادى ، فيسر لها البدء فى مهمتها ، على رغم الظروف الحرجة التى كان العالم يعيش فيها فى تلك الأوقات. واستطاع وفد مصر فى حفل دمشق سنة ١٩٤٤ أن يقدّم إلى المحتفلين السفر الأول من هذه المجموعة ، التى ما زال العمل فيها متصلا إلى اليوم .

وحين تحدّث الناس عن الاحتفال بالعيد الألفى للشيخ الرئيس أبى على ابن سينا ، كبير فلاسفة الإسلام غير منازع ، رأيت أن خير مشاركة تقدمها مصر فى هذا السبيل ، يجب أن تكون كتلك المشاركة التى قدمتها مصر فى عيد أبى العلاء ، فتحيى آثار الشيخ الرئيس ، كما أحيت آثار رهين المحبسين . وعرضت

هذا الاقتراح على وزير المعارف فى ذلك الوقت الأستاذ على بك أيوب ، فأقرّه ، وصنع صنيع نجيب الهلالى ، فألف لجنة لتنفيذه، واستعد لإمدادها بما تحتاج إليه من العون والتأييد .

ولكنه ترك الوزارة قبل أن تتقدّم اللجنة فى عملها . وكتب علىّ أن ألى شؤون وزارة المعارف ، فكان من أول ما فكرت فيه أن أتم العمل الذى بدأه سلفى على بك أيوب ، وأن أمدّ اللجنة بما كان يريد أن يمدّها به من المال والتشجيع ، وفاء للشيخ الرئيس ببعض حقه ، وأداء للواجب الذى لم تتح السياسة لعلى بك أيوب أن يؤدّيه .

وأنا أملى هذه السطور ، وباكورة هذا العمل الخطير بين يدى، فأوّل شكر يجب أن أقدمه ، إنما يساق إلى هذا الوزير الكريم الذى دعى إلى الخير ، فلم تمنعه الخصومة السياسية من أن يجيب .

أما اللجنة التى نهضت بهذا العمل ، والتى ستمضى فى النهوض به حتى تتمه موفقة إن شاء الله ، فإنى أعرف أعضاءها حق المعرفة : كلهم صديق لى ، وأكثرهم من تلاميذى القدماء . وليس منهم من يحب أن يشكر له الخير حين يحقق الخير ، وإنما هم من الذين يجدون الرضا وغبطة النفس وراحة الضمير فى أداء الواجب والمشاركة فى تحقيق المنفعة العامة . يرون ذلك حقا عليهم للعلم ، ويرون ذلك حقا عليهم للمتعلمين. وهم بعد هذا كله من الذين يؤثرون التراث الإسلامى بكل ما يملكون من قوّة وجهد ووقت . أنفقوا

فى درسه شبابهم ، وهم ينفقون فى إحيائه بياض أيامهم وسواد لياليهم . لاتصدهم عن ذلك صعوبة ، مهما تكن ، ولا تردّهم عن ذلك ظروف ، مهما يشتد حرجها . عاشوا للعلم وعاشوا بالعلم ، وعرفوا كيف يعيشون له وبه .

وقد كلفوا عملا مرهقا عسيرا ، فلم يضعفوا ولم يهنوا ، ولم يبطئوا ولم يتردّدوا ، وإنما استحبوا العمل لما يكلفهم من مشقة وجهد ، وأقدموا عليه غير حافلين بما سيكلفهم من عناء . قد كان كل شىء أمامهم عسيرا ، فكتاب "الشفاء" الذى كلفوا أن يبدءوا بنشره ، والذى هو أضخم آثار الشيخ الرئيس فى الفلسفة ، وأفخمها وأبعدها صوتا فى تاريخ الفكر الانسانى ، كتاب كان الناس يتحدّثون عنه فيكثرون الحديث ، ولكنهم لا يكادون يحققونه ولا يصورونه لأنفسهم ، فنسخه مفرقة فى أقطار الشرق والغرب ، لا يكاد الباحثون يهتدون إليها . وما نشر منه فى إيران ليس بذى خطر ، ولا غناء له فيما كانوا يحاولونه من إحياء هذا الكتاب على نحو يرضى البحث والباحثين . ولكنهم أقدموا ينتهزون الفرص ، ويلتمسون النسخ . وأعانهم على ما أقدموا عليه هذا الجهد الخصب الذى بذلته إدارة الثقافة للجامعة العربية فى جمع آثار ابن سينا ، من حيث استطاعت أن تجمعها .

ثم لم يكتف هؤلاء العلماء بما أتيح لهم من النص العربى فى النسخ التى ظفر بها ، وإنما بحثوا عما بقى من الترجمة اللاتينية

القديمة لهذا الكتاب . واستقدموا إلى مصر الآنسة دلفرنى الفرنسية، التى منحت إحياء هذه الترجمة شطرا عظيما من جهدها ونشاطها ، فعارضوا ما عندهم على ما عندها . وأطمعهم ذلك ، فأزمعوا أن يكسبوا لوطنهم مجد إحياء النص العربى ، والترجمة اللاتينية القديمة جميعا . وإذا العناية بهذا الكتاب لا تقتصر على مصر ، وإنما تجاوزها إلى الخارج ، يشارك فيها العلماء على اختلافهم فى الجنس واللغة والدين ، لأن العلم لا يعرف اختلافا فى الجنس، ولا اختلافا فى اللغة ، ولا اختلافا فى الدين .

وقد مضى منذ بدأ هؤلاء العلماء عملهم ما يقرب من ثلاثة أعوام، وهم جادون لا يفترون ؛ يعملون مجتمعين ويعملون متفرقين ؛ يعملون مقيمين فى مصر ويعملون مسافرين فى الخارج .

يظلون شتى فى البلاد وسرهم إلى صخرة أعيا الرجال انصداعها

وهذه الصخرة هى صخرة العلم التى لا تزيدها الأحداث إلا صلابة ، ولا يزيدها اختلاف الزمان والمكان إلا قوة على قهر الزمان والمكان .

وها هم أولاء يهدون إلى العلماء والباحثين فى أقطار الأرض الثمرة الأولى لجهدهم هذا القيم الخصب . وسيسعى بها ساعى مصر إلى الذين سيحتفلون بذكرى الشيخ الرئيس فى بغداد وفى طهران ، معلنا بذلك أن لوطنه مذهبا فى إحياء ذكرى الأدباء والفلاسفة ،

هو تمكين آثارهم من أن تظهر ، ومن أن تذيع ، ومن أن تعيد أصحابها إلى الحياة مرة أخرى . تؤثر ذلك على غيره من ألوان الاحتفال : تراه أجدر أن يحيي ذكر الفلاسفة والأدباء ، وأجدر أن ينفع الناس بآثارهم ، وأن يعصمها من النسيان . فآثار أبي العلاء ليست أحاديث ليس وراءها غناء ، وإنما هي هذه الأسفار التي تمتد إليها الأيدى ، وتنظر فيها الأعين ، وتستمتع بها القلوب والعقول ، وستكون آثار ابن سينا كآثار أبي العلاء حقائق لا أحاديث .

فإلى هؤلاء العلماء الذين يخرجون لنا هذا الجزء من كتاب "الشفاء" أهدى أصدق تحيتى ، وأخلص تهنئتى ، بما بذلوا من جهد ، وما أدركوا من فوز ، وما أذاعوا من نفع . وإنى لأسعد الناس حين أفكر فى أنى قد أتحت لهم باقتراحى ذاك أن يعيشوا مع الشيخ الرئيس خلاصة حياتهم فى هذه الأعوام ، وأن يسبقوا إلى الاحتفال به ، وأن يبرزوا لا فى إحياء ذكراه ، فذكره حى دائما ، ولكن فى إحياء آثاره ، بعد أن كاد يميتها النسيان .

مقدمة الشفاء

للدكتور ابراهيم مدكور

كُشف فى النصف الماضى من هـذا القرن عن كثير من مخلفات التراث الإسلامى ، فأحييت معالمها وأخرجت للناس . وبُذِل فى هذا جهود طائلة ، وتضافر عليه باحثون مختلفون . ولكن لا تزال هناك مخلفات أخرى — ومخلفات عديدة — فى حاجة إلى الكشف ، ولا نتردّد فى أن نعدّ من بينها " كتاب الشفاء " . ذلك لأن نصفه أو يزيد لا يزال مخطوطا ، وما طبع منه ليس من النشر المقبول فى شىء ، على أنه نادر الوجود وكثيرا ما عز الحصول عليه[1] وقد آن الأوان لأن ينشر نشرا كاملا وعلميا محققا .

ونشر كتاب كهذا يتطلب جهدا وزمنا ، ولا بد أن تتداول عليه أيد مختلفة لذلك حرصنا على أن نبدأ فنعرّف به ، ونرسم الخطوط الرئيسية لمنهج نشره .

(ا) الكتاب ومنزلته

للكتب تاريخ كتاريخ الأشخاص ، وحياة لا تخلو من صعود وهبوط . ورب كتاب يولد ميتا ، وآخر تقدر له حياة طويلة عريضة . و" كتاب الشفاء " من بين تلك الكتب ذات التاريخ الطويل ، فإن مولده يرجع إلى نحو خمسين وتسعمائة سنة خلت ، وليس حظه بأقل من طول أجله . وقد تكون هناك كتب أسنّ منه، ولكنها لم تزد عليه فى بعض العصور تأثيرا وتوجيها للأفكار . وفى تتبع هذا التاريخ الطويل ما يكشف عن أمور لها شأنها ، وما يعرفنا بهذا الكتاب أصدق تعريف .

---

(1) ص (٣٨)

١ – تسميته ونسبته إلى مؤلفه :

ليس بغريب أن يسمى طبيب أحد مؤلفاته "الشفاء" ، إنما الغريب أن يطلق هذا الاسم على مؤلف فلسفى، بينما يختار لأعظم كتبه الطبية اسم "القانون" ولو عكس لكان الأمر أوضح. اللهم إلا أن يكون طب النفوس لديه ليس أقل شأنا من طب الأجسام ، على أن طبه قد تأثر بفلسفته كما تأثرت فاسفته بطبه[١] . وقد وضع الكتابان فى تاريخ واحد تقريبا[٢] .

وفيما نعلم لم يسم كتاب عربى بهذا الاسم من قبل ، وبذا يمكن أن تعد هذه التسمية ابتكارا لأول مرة. وقد حاكاها فيما يظهر مؤلف إسلامى آخر بعد ذلك بنحو قرن ، وأطلقها على كتاب مشهور فى السيرة النبوية[٣]. وانتقلت أيضا إلى اللاتينية عن طريق العبرية فى الغالب ، ولكن فى شىء من التحريف ، فسموا ما عرفوه من "كتاب الشفاء" باسم « Sufficientia »[٤] .

ولا أظننا فى حاجة إلى إثبات أن هذا الكتاب من تأليف بن سينا وإملائه، فتلميذه الجوزجانى خير شاهد على ذلك[٥]. والتواتر يؤيده إلى اليوم ، ولم توضع نسبة الكتاب إلى مؤلفه موضع الشك بحال ، بحيث إذا ما ذكر " الشفاء" ذكر معه ابن سينا دون تردّد . وفوق هذا فالكتاب سينوى فى أسلوبه وموضوعه ، فأسلوبه هو ذلك الأسلوب الذى ألفناه بوجه عام من الشيخ الرئيس والذى

---

(١) مدكور، فى الفلسفة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ وقد ألقى أخيرا الدكتور كامل بك حسين محاضرة عنوانها "نظرات فى كتاب القانون لابن سينا " ، وهى تؤيد هذا المعنى ، ويرجى أن تنشر قريبا .

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ليبسك ، ١٩٠٣ ص ٤٢٠ — ٤٢٢

(٣) نعنى بذلك كتاب "الشفا فى تعريف حقوق المصطفى" للقاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ، الموافق ١٤٤٩ م .

(٤) M. Steinschneider, *Die Hebraeischen, Uebersetzungen*, Berlin, 1893, p. 279.

من الغريب أن اللاتينيين ترجموا أول الأمر "كتاب الشفاء" على النحو الآتى : Liber asschipha ثم أهمل هذا واستعملت كلمة "Sufficientia" .

(٥) ص (٥) .

سنعرض له بعد قليل[1] . وموضوعه ينصب على ما يمكن أن نسميه الفلسفة السينوية فى أوسع معانيها ، تلك الفلسفة التى عالجتها مؤلفات ابن سينا الأخرى ، على أن من بين هذه المؤلفات ما صرح باسم "الشفاء" نصا وأحال عليه[2] .

٢ — متى وكيف ألف ؟ :

قد لا يكون ثمة كتاب فى حجم الشفاء ألف فى ظروف شبيهة بتلك الظروف التى ألف فيها ، فلم يحظ مؤلفه بالاستقرار الضرورى للتصنيف والتبويب ، ومع ذلك أخرجه على أدق ما تكون الكتب تنسيقا وترتيبا . ولم ينعم بما ينبغى من هدوء وسكينة تمكن الباحث من أن يحلل ويعلل ، ويناقش ويفصل ، وإنما كتبه أو أملاه فى مرحلة من أكثر مراحل حياته اضطرابا وقلقا . اتصل بالسياسة فشرب من حلوها ومرها ، واستوزر فثار عليه الجند ، وجلبت عليه الوزارة ما جلبت من أحقاد وخصومات[3] . أملاه بين السفر والإقامة ، داخل السجن وخارجه ، وكأنما كان يتحين فرص الخلوة والانفراد ، فيسارع إليه ليقطع فيه شوطا .

ومن أغرب ما يلاحظ أنه كتبه جميعه — فيما عدا المنطق — وليس أمامه مصدر يرجع إليه ، ولا نص ينقل عنه ؛ اللهم إلا لوحات حصر فيها رؤوس المسائل ، وكان يرجع إليها من حين لآخر ليلتزم الترتيب الذى ارتضاه . وإذا بدأ مسألة وفاها حقها من الشرح ، ثم انتقل إلى التى تليها ، وهكذا[4] . والمنطق

---

(١) ص (١٤) .

(٢) ابن سينا ، منطق المشرقيين ، القاهرة ، ١٩١٠ ، ص ٤ ؛ وانظر هنا ، ص (٢١) .

(٣) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢٠ .

وحده هو الذى استطاع أن يضعه فى ضوء بعض المراجع ، فجاء وقد حاكى فيه أكثر من غيره ترتيب القدامى[1] .

وليته استطاع أن يتم الكتاب دفعة واحدة ، أو على دفعات متلاحقة ، وإنما اضطر بالعكس أن يكتبه على مراحل متباعدة ، وفى ترتيب غير ترتيبه النهائى . فبدأ بالطبيعيات وانتقل منها إلى الإلهيات ، وبعد فترة غير قصيرة ألحق بهما المنطق ، ثم الرياضيات ، وختم أخيرا بكتابى النبات والحيوان ، وهما جزءان من الطبيعيات . بدأه فى همذان ، وأتمه فى أصبهان ، وقضى فيما بين ذلك ما يزيد عن عشر سنوات[2] . بدأه وقد أشرف على الأربعين ، فى سنّ النضج والكمال ، وفرغ منه وقد ناهز الخمسين[3] .

وإذا عرفنا أنه لم يقصد همذان إلا سنة ٤٠٥ هـ ، ولم يبرحها إلى أصبهان إلا فى حدود سنة ٤١٤ ، أمكن أن نحدّد بوجه عام تاريخ تأليف "الشفاء". ذلك أنه لم يبدأ فيه إلا بعد أن قضى فى همذان زمنا ، بعد توليته الوزارة للمرة الأولى وثورة الجند عليه . ولعل من أخصب مراحل تأليفه فترتين : أولاهما حين اختفى فى دار أبى غالب العطار على أثر وفاة شمس الدولة بن بويه أمير همذان ، سنة ٤١٢ ، والثانية حين التجأ إلى دار العلوى بعد أن أفرج عنه من قلعة فردجان ، حوالى سنة ٤١٣[4]. ولم يفرغ منه فى أصبهان إلا بعد أن أمضى بها بضع سنوات . وعلى هذا يمكننا أن نقرر أنه من مؤلفات العقدين الأولين من القرن الخامس الهجرى (ويوافق ذلك أيضا العقدين الثانى والثالث من القرن الثانى عشر الميلادى) ، وأن آخر أجزائه لم يتم إلا حوالى سنة ٤١٨ هـ .

(١) ابن سينا ، المدخل ، القاهرة سنة ١٩٥١ ، ص ٣ .

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤٢٠ — ٤٢١ .

(٣) نختلف بهذا مع الجوزجانى الذى يذهب إلى أن "الشفاء" قد تم وسن ابن سينا أربعون سنة (المدخل ص ٣) ؛ وفى التواريخ والوقائع التى قدمناها ما يكفى لنقض ذلك .

(٤) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤٢١ ؛ البيهقى ، تاريخ حكماء الإسلام ، دمشق ١٩٤٦ ، ص ٦٣ .

ولا يذكر تأليف "كتاب الشفاء"، إلا ويذكر معه أبو عبيد الجوزجانى، فهو الذى دعا إليه ، وتولى ضبطه وقام بكتابة بعض أجزائه ، وتدارسه مع التلاميذ وطلبة العلم بحضرة الأستاذ الرئيس، وتولى حفظه بعد وفاته، واضطلع بنشره ، ووضع له مقدمة تشرح كثيرا من الظروف التى تم فيها تأليفه ، ولا تزال هذه المقدمة جزءا منه لا ينفصل[1]. وقد كان من محبي الحكمة وطلابها، وما إن انتهى إليه خبر ابن سينا ومنزلته العلمية حتى سعى اليه . وفى جرجان التقى به سنة ٤٠٣، ولم يفارقه بعد ذلك أبدا ، حتى إنه كان يدخل السجن معه . وبذا لازمه فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته ، وشاءت الأقدار أن يلازمه بعد موته ، فدفن معه فى قبره . وقد طلب إلى أستاذه أن يشرح كتب أرسطو ، فاعتذر له عن ذلك بضيق وقته ، واكتفى بأن يضع كتابا يورد فيه ما صح عنده من العلوم العقلية ، وعلى هذا الأساس قام "كتاب الشفاء"[2] .

٣ — الشفاء فى ضوء العصر والبيئة :

يحكم على الكاتب عادة فى ضوء ما كتب ، وعلى الكتاب مقرونا إلى عصره وبيئته، وقد مكنتنا كتب ابن سينا المتداولة من أن نحكم عليه أحكاما شتى[3] . ولا شك فى أن "كتاب الشفاء" يلقى أضواء كثيرة على فلسفته ، بل وعلى حياته ؛ ذلك لأن هذه الحياة — بقدر ما يحكيه هو عن نفسه ويتمه تلميذه الجوزجانى ويضيفه أصحاب التراجم — لا تكشف تماما عن المعين الذى استقى

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ١ — ٤ .

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤١٧ — ٤٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤١٩ — ٤٢٠ .

منه ، ولا عن بعض العوامل التى أثرت فيـه [1] . وكل ما يشار إليه أنه نشأ نشأة دينية فى بيت إسماعيلى ، لحفظ القرآن ، وتعلم شيئا من علوم الفقه واللغة فى سن مبكرة ، وبعد العاشرة أخذ يتزود من العلوم العقلية كالحساب والهندسة والمنطق والفلسفة ، ولم يعرض للطب إلا فى سن السادسة عشرة . وما إن بلغ الحادية والعشرين حتى بدأ يكتب ويؤلف ، وتابع الكتابة والتأليف إلى أن أخرج "الشفـاء" [2] .

فأين ذلك مما فى هذا الكتاب من مادة غزيرة ، ودراسات متنوعه ، وإلمام بأكمل صورة وصلت إليها الثقافة الفلسفية والعلمية لعهده ؟ أيمكن أن يستمد هذا من ذلك الإعداد المبدئى الذى أشرنا اليه ، والذى توفر لكثيرين من معاصرى ابن سينا ؟ أم من أساتذة تتلمذ لهم فى صباه ، وهم أبو بكر الخوارزمى اللغوى وإسماعيل الزاهد الفقيه المتصوف ، وأبو عبيد الله الناتلى المتفلسف[3] ؟ لسنا هنا إزاء أستاذية قوية كأستاذية أفلاطون أو أرسطو ، وإنما نحن أمام معلمين

---

(1) ترجم ابن سينا لنفسه كما صنع ابن خلدون ، على غير عادة كثيرين من مفكرى الإسلام ، ووصل بترجمته إلى الثالثة والثلاثين من عمره ، وأتم البقية تلميذه الجوزجانى ؛ وأغلب الظن أن البدء والنهاية إنما جاءا نزولا عند رغبة الأخير . ومهما يكن فهذه الترجمة بقسميها هى المنبع الأول الذى استقى منه أصحاب التراجم مادتهم .

(2) ترجم لابن سينا كثيرون قديما وحديثا ، إن بالعربية أو بلغات أخرى ، ودون أن ندخل فى تفاصيل ذلك نكتفى بأن نشير إلى أهم المصادر العربية القديمة ، وهى : القفطى ، تاريخ الحكماء ص ٤١٣ — ٤٢٦ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، كنجسبرج ، ١٨٨٤ ، جـ ٢ ، ص ٢ — ٢٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، القاهرة ١٢٩٩هـ ، جـ ١ ، ص ١٩٠ — ١٩٣ ؛ البيهقى ؛ تاريخ الحكماء ، دمشق ١٩٤٦ ، ص ٥٢ — ٧٢ ؛ الشهرزورى ، روضة الأفراح ، ولايزال مخطوطا ، وهو متمم ولا شك لكتب تراجم الحكماء العربية ، وفيه خاصة فصلان غزيرا المادة : أحدهما عن ابن سينا ، والآخر عن السهروردى ؛ ونرجو أن ينشر قريبا .

(3) القفطى ؛ تاريخ الحكماء ، ص ٤١٣ — ٤١٤ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون ، جـ ٢ ، ص ٢ — ٣ .

متواضعين يقول ابن سينا عن أبرزهم ، وهو الناتلي : « وكان أي مسألة قالها أتصورها خيرا منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر [1] » .

إن "كتاب الشفاء"، يملي علينا درسا آخر، وهو أن ابن سينا قرأ ، وقرأ كثيرا ، قرأ كل ثمار الثقافة العربية والفارسية الهامة التي عرفت في عصره، وما أكثرها : فجاء نسيج وحده وصنيع درسه وتأمله . وقد توفرت له أسباب القراءة في العشرين سنة الأولى من حياته : كفله فيها أبوه ووقاه مؤنة الكسب وطلب العيش ، فتفرغ للبحث والدرس في ذكاء نادر، وذاكرة عجيبة ، وولوع بالقراءة وسرعة فيها مدهشة . فما كان ينام من الليل إلا أقله ، ولا يشتغل في النهار بغير العلم والقراءة [2] . وما كان يبدأ كتابا إلا أتمه، مستعينا بما عليه من شروح وتعليقات . وقد انتهى به تخصصه وخبرته إلى أنه لم يكن في حاجة أن يقرأ الكتاب تباعا ، بل كان يقصد إلى مواضعه الصعبة ومسائله المشكلة ، فينظر ما قاله مصنفه فيها ، ويتبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم [3] .

ولم تكن الكتب عزيزة المنال حين ذاك ، فقد كانت سوقها رائجة ، ورغبة أهل خراسان وفارس في اقتنائها عظيمة [4] . وكان ابن سينا من بيت علم يعنى بالتحصيل وشراء الكتب وجمعها . على أنه لم يقنع بمكتبته الخاصة بل ضم إليها مكتبة أخرى من أعظم المكتبات في ذلك التاريخ ، ونعني بها مكتبة نوح بن منصور سلطان بخارى ووريث مجد الدولة السامانية ، فقد أتيحت له

---

(1) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣ ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٤١٤ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٤١٥ .

(3) المصدر نفسه ، ص ٤٢٢ .

(4) ومن أمثلة ذلك ما يحكيه ابن النديم من أن خراسانيا اشترى شرحي الإسكندر الأفروديسي "للسماع الطبيعي" و "لكتاب البرهان" بثلاثة آلاف دينار (الفهرست ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٥٤) .

فرصة الالتحاق بحاشيته ، والاشتراك فى مداواته من داء حار فيه الأطباء. وأضحى أثيرا لديه، بحيث مكّنه من زيارة مكتبته والاطلاع على ما فيها من تحف ونفائس[١] . فوقف فيها على ما لم يقع اسمه لكثيرين من كتب الأوائل ، وما لم يره هو من قبل ولا من بعد . وما أسرع ما أقبل على هذه الكتب ، فقرأها وظفر بفوائدها ، وعرف مرتبة كل رجل فى علمه[٢] .

من هذه القراءة الواسعة البصيرة خرج بعد الهضم والتمثيل "كتاب الشفاء" ، فبدا فيه جانب التأثر والتأثير ، والأخذ والابتكار ، والتقليد والتجديد . وإذا كان ابن سينا — على عادة كثير من مؤلفى الإسلام — ضنينا بذكر مصادره ، فإن الاطلاع على كتابه هذا يكشف عن تلك المصادر ، التى أشار إلى بعضها فى المقدمة إشارة مجملة[٣] . ومن ذا الذى يقرأ أجزاءه الفلسفية مثلا ولا يلمح أرسطو وشراحه ماثلين ؟ فيرى أقوالهم وقد عرضت بنصها أحيانا بحيث يمكن ردها إلى أصولها ، أو نوقشت مناقشة تدل على ما دار حولها من خلاف فى عهد ابن سينا أو قبله .

ولقد عرض الباحثون للقرن الرابع الهجرى ، وعدّوه العصر الذهبى فى تاريخ الدراسات العقلية الإسلامية . فاستقام لعلم الكلام أمره بعد محنة خلق القرآن ، واسترد اعتباره على يدى الأشعرى . وسما التصوف إلى القمة ، فانتقل من النسك والزهادة إلى شرح أحوال النفس ومقامات العارفين ، والقول بالاتحاد ونزول اللاهوت فى الناسوت كما كان يذهب الحلّاج . وأخذت الفلسفة الإسلامية تستكمل أسسها ومبادئها بما أضافه إليها الفارابى من عمق

(١) القفطى ، تاريخ الحكماء، ص ٤١٦ — ندع جانبا ما أثير حول حريق هذه المكتبة واتهام ابن سينا بذلك .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ابن سينا ، المدخل ، ص ١١ .

وتحديد وتوفيق وتنسيق . وبلغ الطب غايته ، فلم يقف عندما دوّنه أبقراط وجالينوس ، بل شاء الرازى أن يغذيه بتجاربه الشخصية ودرسه المستقل . وخطا الفلك والرياضة خطوات فسيحة ، ويكفى أن يذكر البيرونى ومؤلفاته للتدليل عليها .

ويمكن أن يقال بوجه عام إذا كان المسلمون فى القرنين الثانى والثالث للهجرة قد شغلوا بنقل العلوم الأجنبية وتفهمها ، فإنهم كانوا فى القرن الرابع يدرسون بأنفسهم ولأنفسهم ، وانتقلوا من الجمع والتحصيل إلى الإنتاج الشخصى. وقد استوعبت ترجمتهم آثار الثقافات الأخرى الفلسفية والعلمية الهامة على اختلافها ، من يونانية وفارسية وهندية . وإذا قصرنا حديثنا على الفلسفة أمكننا أن نلاحظ أن العرب ، إلى جانب ما وصلهم من شذرات عن الفلاسفة السابقين لسقراط ، ترجموا أهم المحاورات الأفلاطونية ، وهى الجمهورية ، والنواميس ، وطيماوس ، والسوفيسط ، وبوليطيق ، وفادن ، ودفاع سقراط[1]. وكانت العناية بأرسطو بالغة ، فبحثوا عن مؤلفاته ، وترجموها فى عناية تامة ، وتوفر لهم منها عدد غير قليل ، وخلط بها بعض مؤلفات موضوعة نسبت إليه خطأ[2] .

ولكى يفهموا المعلم الأول فهما حقا ، كان لابد لهم أن يستعينوا بشراحه من المشائين الأول كثاوفرسطس والإسكندر الأفروديسى ، وقد ترجم لهما أكثر من شرح ، وخاصة للثانى الذى كان له أثر واضح فى بعض النظريات الفلسفية الإسلامية . وكان ابن سينا يعتد بآرائه اعتدادا كبيرا ، ويسميه

---

(١) مدكور ، المصادر الإغريقية للفلسفة الإسلامية ، مجلة الرسالة ، ١٩٣٥ ، العدد ٢٩٥ ، ص ٦٩٤ — ٦٩٧ . حرصت على أن أقدم أسماء هذه المحاورات كما كان ينطقها العرب .

(٢) المصدر نفسه .

"فاضل المتأخرين"[١]. و إلى جانب الإسكندر هذا ينبغى أن نضع شراح مدرسة الإسكندرية ، وفى مقدمتهم فرفوريوس، وثامسطيوس، وسمبليقيوس، ويحيي النحوى . فترجم كثير من شروحهم ، وكان أثرهم فى العالم الإسلامى أشد عمقا أحيانا من أثر المشائين الأول[٢] .

نقلت هـذه الكتب والشروح إلى العربية ، وتداولهـا مفكرو الإسلام فيما بينهم ، وكثر تداولها ومناقشتها والتعليق عليها فى القرن الرابع الهجرى . فى هذا الجو وفى قلب هذه الحركة الفكرية نشأ ابن سينا ، ولد وترعرع فى أخريات القرن الرابع الهجرى، فأفاد من كل مايحيط به من مدارس ومؤلفات . وأنتج وألف، فجاء إنتاجه متمشيا مع هـذه الحركة المتشعبة الأطراف . وإذا كان كتابٌ يحمل شارة عصره ، فإنَّ "الشفاء" من أدل الكتب على ما كانت عليه الحياة العقلية فى القرن الرابع الهجرى خصبا وغزارة مادة . وإذا كنا لم نعثر بعد على كثير من شروح أرسطو التى ترجمت إلى العربية ، فإنه يُثبت بجلاء أنها كانت مقروءة ومتداولة، وأنها تكوِّن لبنة هامة فى بناء الفلسفة الإسلامية . وطالمـا لم تدرس هـذه الشروح الدرس الكافى ، فإنَّ من العسير أنْ نميز فى دقة بين ما فى هـذه الفلسفة من جديد وقديم .

٤ — موضوعه :

يحدد ابن سينا موضوع كتابه ، فيقول إن غرضنـا منه « أن نودعه لباب ما تحققناه من الأصول فى العلوم العقلية المنسوبة إلى الأقدمين ، المبنية على النظر المرتب المحقق ، والأصول المستنبطة بالأفهام المتعاونة على إدراك الحق المجتهد

(١) Madkour, *L'Organon d'Aristote dans le monde arabe,* Paris, 1934, p. 37 .

(٢) مذكور ، المقال السابق ، مجلة الرسالة ، ص ٦٩٦ — ٦٩٧ .

فيه زمانا طويلا... ، وتحريت أن أودعه أكثر الصناعة [١]» . ثم يضيف : «ولا يوجد فى كتب القدماء شيء يعتد به إلا وقد ضمناه كتابنا هذا ، فإن لم يوجد فى الموضع الجارى بإثباته فيه العادة ، وجد فى موضع آخر رأيت أنه أليق به [٢]» .

وفى الحق أن الكتاب شامل شمولا لا نظير له فيما وصلنا من كتب فلسفية ، فهو ينقسم إلى أربع جمل رئيسية : المنطق ، والطبيعيات ، والرياضات ، والإلهيات ، وتحت كل جملة فنون ، وكل فن مقالات ، وكل مقالة فصول[٣] . هذا هو التقسيم فى عمومه ، أما تفاصيله فتشتمل على دراسات متنوعة وعلوم متعددة . فتحت المنطق نجد الخطابة والشعر ، على نحو ما كان يتصور المناطقة فى ذلك العهد ، وإن كانا ألصق بالأدب والبلاغة[٤] . وتحت الطبيعيات نرى ، إلى جانب قوانين الحركة والتغير ، مواد متباينة جمعت فى صعيد واحد ، وأخصها علم النفس ، والحيوان ، والنبات ، والجيولوجيا . وتحت الرياضيات تدرس الهندسة ، والحساب ، والموسيقى ، وعلم الهيئة . وتحت الإلهيات يعرض مع الفلسفة الأولى شيء من السياسة والأخلاق .

ويتمشى هذا الاستيعاب مع ذلك التقسيم التقليدى للعلوم الفلسفية الذى أخذ به ابن سينا ، والذى يصعد إلى أرسطو . وملخصه أن هذه العلوم تنقسم إلى شعبتين : نظرية وعملية ، وتشمل الشعبة النظرية الطبيعة ، والرياضة ، والميتافيزيق . وتشمل الشعبة العلمية ، الأخلاق ، وتدبير المنزل ، والسياسة[٥] . بيد أن فيلسوفنا

---

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩ — ١٠ .

(٣) الأب قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٠ — ٦٦ .

(٤) Madkour, *L'Organon* pp. 10-13,

(٥) مدكور ، فى الفلسفة الإسلامية ، ص ١٦٩ . وقد التزم ابن سينا هذا التقسيم بوجه عام ، وإن أدخل عليه مرة شيئا من التغيير (منطق المشرقيين ، ص ٧ — ٨) .

عنى بالرياضة عناية لانجدها عند أرسطو، فوقف عليها جملة من جمل "الشفاء" الأربع ، وعالجها فى رسائل أخرى متفرقة [1] .

وقد أدرك أنه لم يدرس علم الأخلاق والسياسة فى "الشفاء" الدرس الكافى، وهما جزءان هامان من الفلسفة العملية . فوعد بأنه سيعالجهما فى استقلال ، وسيصنف فيهما كتابا جامعا مفردا [2] . والواقع أن ابن سينا لم يشغل كثيرا بالعلوم السياسية ، وكأنما صرفته السياسة العملية عن الفلسفة السياسية [3] . ولم يكن حظ الأخلاق لديه بأعظم من حظ السياسة ، ولعل البحوث التصوفية حلت عنده محل علم السلوك .

ومهما يكن فإن "كتاب الشفاء" أشبه ما يكون بدائرة معارف استوعبت العلوم العقلية على اختلافها ، فسبق دوائر المعارف الحديثة بنحو ستة قرون . وإذا كانت هذه قد امتازت بكثرة فنونها وتعدد موضوعاتها ، فإنه يعد بسهولة دائرة معارف ملائمة لعصره . وأغرب ما فيه أنه إنتاج رجل واحد ، فى حين أن دوائر المعارف منذ "ديدرو" إلى اليوم يتضافر عليها باحثون كثيرون .

٥ — أسلوبه ومنهجه :

تعلم ابن سينا العربية فى سن مبكرة ، وأجادها إجادته للفارسية ، شأن كثير من مفكرى الفرس فى عصره . وكان يكتب ويؤلف باللغتين فى يسر وطلاقة ، وإن كان إنتاجه بالعربية أغزر وأعظم . وكان لتمكنه منهما أثر فيما حاوله

---

(١) قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، ص ٢٢٦ — ٢٣٤ .

(٢) ابن سينا ، المدخل ، ص ١١ .

(٣) Madkour, *La place d'Al-Fārābī dans l'école philosophique musulmane*, Paris, 1934, p. 182 note 5.

من مقارنات وموازنات لغوية لاتخلو من طرافة [1] . ولو تعلم السريانية واليونانية لكان لها شأن فى دراساته العلمية والفلسفية .

وقد كتب بالعربية شعرا ونثرا ، ومعظم ما وصلنا من شعره إنما هو من ذلك الشعر التعليمى ، الذى يُحرَص فيه على أداء المعنى واستكمال الحقائق أكثر مما يحرص على جزالة اللفظ وسمو التركيب ، ومن أوضح أمثلته عينيته المشهورة فى النفس [2] . على أنه خلف لنا بعض الأبيات والقصائد فى الحكم والأمثال و بكاء الديار ، ولا تخلو من جمال وحسن صنعة ، و إن كانت جميعها دون الجودة و إلى التوسط أقرب [3] .

وأما نثره فسهل واضح مرسل بوجه عام ، وفيه تعقيد أو غموض أحيانا ، فيطيل الجملة و يعيد الضمائر إلى مراجع مختلفة . إلا أن غموضه لا يذكر فى شىء بجانب ما يلحظ فى أسلوب الفارابى مثلا ، خصوصا إذا عرفنا أنه كان هناك مذهب خاص فى تلك العصور يرمى إلى ستر الأفكار الفلسفية وحجبها عن العامة والدهماء [4] . و إذا كان الغزالى يعد من أوضح كبار مفكرى الإسلام أسلوبا ، فإنه لا يمتاز فى هذا على ابن سينا كثيرا . وكم جر هذا الوضوح على الشيخ الرئيس وعلى الفلسفة والفلاسفة جميعا فيما بعد من نقد وحملات .

وقد يروِّى فيلسوفنا أحيانا فيما يكتب ، ويحفل بما ينشئ ، فينتهى إلى أسلوب سام ممتاز فيه روعة و جمال . وخير شاهد على ذلك كتاب "الإشارات والتنبيهات"،

---

(1) Madkour, *L'Organon*, p. 161.

(2) من أشهر قصائده ، وعليها شروح عدة لا يزال معظمها مخطوطا ، وقد طبعت غير مرة وترجمت إلى التركية والفرنسية (قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، ص ١٥٢ — ١٥٥) ، وما أحوجها إلى نشر وتعليق جديدين يستعان فيهما بالمخطوطات الموجودة .

(3) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، جـ ٢ ، ص ١١ — ١٨ .

(4) Madkour, *La place d'Al-Fārābī*, pp. 24-25.

وخاصة الأنماط الثلاثة الأخيرة منه ، ففيها تنبيهات وخواتيم يجد المرء لذة فى أن يقرأها و يقرأها غير مرة [1] . وقد يتأنق فيسجع و يعنى نوعا بالصناعة اللفظية، على نحو ما يلحظ فى "رسالة الطير" و "رسالة القدر" [2] .

و " كتاب الشفاء " ألصق بأسلوب ابن سينا العام والدارج المألوف ، و يبدو ذلك باطراد فى الكتاب جميعه ، فليس ثمة تباين ولا تفاوت فى أسلوبه على طوله وكثرة أجزائه . وهو يدل دلالة واضحة على تمكن مؤلفه من العربية، وقدرته على أن يؤدى بها أدق الأفكار وأعقدها . وقل أن يلجأ لبعض الألفاظ الأجنبية من فارسية أو يونانية ، اللهم إلا إن أضحت مصطلحات تقررت من قبل فى الاستعمال .

وأما منهجه فيقوم على ذلك العرض المتصل المحكم الترتيب والتبويب ، فيقسم — كما قدمنا — الفن إلى مقالات، والمقالة إلى فصول، وفى الفصل الواحد يسير سيرا منطقيا منتظما ، من المقدمات إلى نتائجها . و يولع ولوعا كبيرا بما يسمونه القسمة العقلية . فيضع الأحكام والآراء بين طرفين أو أطراف متقابلة ، يناقشها طرفا طرفا حتى ينتهى إلى الهدف المقصود ؛ وكأنما يخرج من قسمة ليدخل فى أخرى [3] .

ولا يتشبث مطلقا بالمماحكات اللفظية، بل ينفر منها و يقصد إلى المعنى ، و يصوب إليه رأسا . وهاهو ذا يقول : « واجتهدت فى اختصار الألفاظ جدا ومجانبة التكرار أصلا ، إلا ما يقع خطأ أو سهوا ، وتنكبت التطويل فى مناقضة

---

(٢) ابن سينا ، الإشارات والتنبيهات ، ليدن ، ١٨٩٢ ، ص ١٩٠ — ٢٢٢ .

(٣) ابن سينا ، جامع البدائع ، القاهرة ، ١٩١٧ ، ص ١١٤ — ١١٩ ؛ رسالة القدر ، ليدن ، ١٨٩٩ .

(١) انظر مثلا المدخل ، ص ١٢ — ١٤ .

مذاهب جلية البطلان أو مكفية الشغل بما نقرره من الأصول ، ونعرفه من القوانين »[1] .

وجد له ملزم قوى يسد به على خصمه الأبواب،وما أشبهه أو ما أشبه الجدل المدرسى الذى ألف فى القرون الوسطى المسيحية به ، وكل ذلك لتمكنه من منطق أرسطو وتمكن هذا المنطق منه . وقد يكون هذا الجدل شاقا وعنيفا أحيانا ، وقد يعز علينا أن نستسيغه، إلا أنه كان ضرورة من ضرورات البحث العقلى فى ذلك التاريخ . ومن هنا يقول الشهرستانى : «إن طريقة ابن سينا أدق عند الجماعة ، ونظره فى الحقائق أغوص »[2] .

وعلى هذا ليس "الشفاء" شرحا لأرسطو — كما كان يظن — على نحو شروح ابن رشد والقديس توماس الأكوينى ، وإنما ضمنه ابن سينا ما ارتضاه من مباحث ونظريات فى استيعاب وشمول تام، مرجحا ما يرى ترجيحه، أو رافضا ما يرى رفضه. وقد يعرض لآراء الآخرين ويناقشهم دون أن يشير إلى أسمائهم أو إلى المصادر التى أخذ عنها[3] .وهو بلا نزاع خير من يصف كتابه ، فيقول فى مقدمته : «استقام آخره على جملة اتفقت عليها أكثر الآراء ، وهجرت معها غواشى الأهواء ، وتحريت أن أودعه أكثر الصناعة ، وأن أشير فى كل موضع إلى موقع الشبهة ، وأحلها بإيضاح الحقيقة بقدر الطاقة ، وأورد الفروع مع الأصول إلا ما أثق بانكشافه لمن استبصر بما نبصره ، وتحقق ما نصوره ، أو ما عزب عن ذكرى ولم يلح لفكرى » [4] .

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(2) الشهرستانى ، الملل والنحل ، القاهرة ، ١٣٢٠ هـ ، جـ ٣ ، ص ٩٣ .

(3) انظر مثلا ، المدخل ، ص ١٥ — ١٦ ، ٢٣ — ٢٤ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٩ .

ويظهر أن هـذه المقدمة لم تكن فى متناول رجال القرون الوسطى المسيحية فى يسر ، ولم يستوعبوا "الشفاء" بحيث يستطيعون أن يدركوا أنه دراسة شخصية لا مجـرد شرح وتعليق . ولم يقفوا أيضا فى وضوح على مقدمة الجوزجانى التى جاء فيها على لسان ابن سينا : «أما الاشتغال بالألفاظ وشرحها فأمر لا يسعه وقتى ولا تنشط له نفسى . فإن قنعتم بما يتيسر لى من عندى ، عملت لكم تصنيفا جامعا على الترتيب الذى يتفق لى[1]» . ذلك لأن هاتين المقدمتين ارتبطتا بالمدخل ، وكان أقل "أجزاء الشفاء" المترجمة إلى اللاتينية تداولا . هذا إلى أن نسخه المتداولة لم تكن جميعها مستوعبة ، وليس فيما وصلنا منها إلا اثنتان فقط هما اللتان تشتملان على هاتين المقدمتين .

وروجر بيكون هو الذى استطاع خاصة أن يتبين حقيقة الكتاب ، ويدرك أنه عرض طليق لفلسفة ابن سينا ، دون تقيد بنص ثابت أو أصـل معين ، ولعله وقف على المقدمتين السابقتين[2] . ولم يقف الأمر عند المدرسيين ، بل امتد إلى التاريخ المعاصر ، فرأينا "مهرن" فى أخريات القرن المـاضى يعود إلى القول بأن "الشفاء" مجرد شرح لأرسطو ، وفى نشر هذا الكتاب ما يقضى على كل ذلك[3] .

على أن هـذا ليس معناه أن ابن سينا لم يتأثر بأرسطو فى كتابه هـذا ، بل بالعكس تأثر به كل التأثر ، وعول عليه التعويل كله ، فحاكاه فى ترتيبه ، واستمد منه موادكثيرة ، ولا يتردّد فى أن يصرح بذلك ، فيقول : «ولما افتتحت هذا الكتاب ابتدأت بالمنطق ، وتحريت أن أحاذى به ترتيب كتب صاحب

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢ .

(٢) Nallino, *Filosofia "orientale" od "illuminativa" d'Avicenna*, dans *Rivista del. Stud. orie.*, Roma, 1925, Vol. X, Fasc. 4, pp. 433-467;
الدكتور بدوى ، التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية (حيث توجد ترجمة كاملة للمقال السابق) القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٤٥ — ٢٩٦ .

(٣) Bouyges, *Roger Bacon a-t-il lu des livres arabes*, dans *Arch. d'hist. doctr*, Paris, 1930, t. v., p. 312; Mehren, *Muséon*, 1883, t. II, p. 464, 1885, t. IV, p. 494.

المنطق، وأوردت فى ذلك من الأسرار واللطائف ما تخلو عنه الكتب الموجودة، ثم تلوته بالعلم الطبيعى ، فلم يتفق لى فى أكثر الأشياء محاذاة تصنيف المؤتم به فى هذه الصناعة وتذاكيره»[1] . إلا أنه تأثر أيضا بشراح أرسطو السابقين من مشائين و إسكندريين، واعتنق آراء أفلاطونية ورواقية، وخضع لما خضعت له الثقافة الإسلامية عامة من عوامل ومؤثرات . وكثيرا ما تبدو الفلسفة الأرسطية فى "الشفاء" معدلة أو مشوبة بأفكار أخرى ، تمشيا مع النزعة التوفيقية التى سادت الفلسفة الإسلامية جميعها ، هذا إلى أن القسم الرياضى فى هذا الكتاب لا يمت لأرسطو بأية صلة[2] .

٦ — صلته بكتب ابن سينا الأخرى :

وضع ابن سينا ما يزيد على مائتى مؤلف، بين رسائل وكتب مطولة أو متوسطة أو مختصرة[3] . ومن حسن الحظ أن غالبيتها العظمى وصلت إلينا ، و إن كان كثير منها لا يزال مخطوطا . وينصب نحو ثلثيها على الدراسات الفلسفية من منطق، وطبيعة ، وعلم نفس ، وميتافيزيق ، وتصوّف ، وأخلاق ، وسياسة . ولاشك فى أن "الشفاء" و "النجاة" و "الإشارات" أهم مؤلفات هذه المجموعة[4] .

---

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ١١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يصعد الأب قنواتى بمؤلفات ابن سينا إلى نحو ٢٧٠ مؤلفا ، إلا أن منها ما هو مكرر الاسم فيما يظهر ، وما هو مكرر بين العربية والفارسية (مؤلفات ابن سينا ، ص ١٤٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ — ٢٤٩ ، ٢٥٢ — ٢٥٨) . على أن حصره هذا لا يزال مؤقتا ، ولن يكون نهائيا إلا يوم أن تنشر مخطوطات ابن سينا جميعها وتحقق .

(٤) تعالج مؤلفات ابن سينا الفلسفية الأخرى فى أغلبها جزءا أو أجزاء من فلسفته ، وقد ظهر كثير منها قبل ظهور "الشفاء" . لذلك لم نشأ أن ندخلها فى المقارنة ، واكتفينا بقصرها على الكتب المتداولة الكبرى ، أو على كتب أخرى كانت صلتها "بالشفاء" محل أخذ ورد .

والصلة بين "الشفاء" و "النجاة" وثيقة ، قاما على أساس مشترك ، وفكر فيهما معا . وذلك أن الفكرة الرئيسية التى بنى عليها "الشفاء" من استيعاب المنطق والطبيعة والرياضة والعلم الإلهى، هى نفسها التى اعتمد عليها "كتاب النجاة". فهو يحتوى على أربعة أقسام تقابل جمل "الشفاء" الأربع ، والفصول فى الكتابين متشابهة فى ترتيبها وتناسقها ، بل منها ما هو مكرر بنصه وفصه[1]. وكل ما بينهما من فارق يتلخص فى أن "الشفاء" يلم بالأصول والفروع، ويحقق رغبة المتخصصين والمتبحرين، فى حين أن "النجاة" «يشتمل على ما لابد من معرفته لمن يؤثر أن يتميز عن العامة ، وينحاز إلى الخاصة ويكون له بالأصول الحكمية إحاطة»[2]. ولهذا اعتبر الثانى بحق مختصرا للأول. وقد أعدا فى جو واحد، إذ أن اللوحات التى حصرت فيها مسائل "الشفاء"، والتى أشرنا إليها من قبل، هى التى استخدمت فيما يظهر لتكوين هيكل "النجاة"، وما إن فرغ ابن سينا من الأول حتى أخرج الثانى [3] .

أما كتاب "الإشارات" فمتأخر عنهما ظهورا ، ولعله آخر ما ألف ابن سينا ، وتصعد المدة التى تفصل بينه وبين أجزاء "الشفاء" الأخيرة إلى نحو ثمانى سنوات. وله أسلوبه وترتيبه وطريقة عرضه الخاصة ، وجانب الابتكار والشخصية فيه أوضح ، ولذا ضم إلى شعبة الفلسفة المشرقية [4] . إلا أنه يلتقى مع "الشفاء"

---

(1) لسنا فى حاجة أن نشير إلى أن ناشر "النجاة" فى القاهرة ، سنة ١٩١٣ ، أهمل عن قصد القسم الرياضى (النجاة ، ص ٣) ، فى حين أن طبعة رومة القديمة ، سنة ١٥٩٣ ، اشتملت عليه. وأما الفصول المكررة فى "الشفاء" و "النجاة" فكثيرة نذكر من بينها مثلا : العناية ، والمبدأ والمعاد (الشفاء، طهران ، ١٣٠٣ هـ ، ص ٢٥٩ ، ٢٧٣ ؛ النجاة ، طبعة القاهرة ، ص ٤٦٦ ، ٤٩٠) . وقد عنيت الآنسة جواشون بهذه المقابلة :

A.-M. Goichon, *La distinction de l'essence et de l'existence d'après Ibn Sīnā*, Paris, 1937, pp. 499-503.

(2) ابن سينا ، النجاة ، ص ٢ .

(3) ص ٣ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، جـ ٢ ، ص ٧ .

(4) Madkour, *La place d'Al-Fārābī*... p. 64, No. 2.

فى معالجته أقسام الفلسفة الرئيسية من منطق،وطبيعة ، وميتافيزيق؛و إذ كانت قد أهملت فيه الرياضة فقد حل محلها التصوف،والمهم ألا تناقض بين الكتابين فى الأفكار الجوهرية والنظريات الرئيسية .

وهناك كتابان آخران يضعهما ابن سينا بإزاء" الشفاء "ويقابلهما به ،وهما "اللواحق"و"الفلسفة المشرقية" أو "الحكمة المشرقية" كما تسمى أحيانا [1] . فأما الأول فيشير إليه ابن سينا فى مقدمة "الشفاء" حيث يقول : « ثم رأيت أن أتلو هذا الكتاب (يعنى الشفاء) بكتاب آخر ، أسميه كتاب "اللواحق" ، يتم مع عمرى ،و يؤرخ بما يفرغ منه فى كل سنة ، يكون كالشرح لهذا الكتاب وكتفريع الأصول فيه وبسط الموجز من معانيه» . [2] و يشير إليه فى موطن آخر، فيقول : « أعطيناهم فى " كتاب الشفاء " ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم ، وسنعطيهم فى " اللواحق " ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه[3]» .

ولكن عبثا نحاول إن شئنا البحث عن هذا الكتاب فى المخلفات السينوية ، فإنه لم يعثر عليه بعد ؛ وأغلب الظن أنه لم يوجد قط[4] . و إنما الأمر مجرد عزم اعتزمه ابن سينا ومشروع قصد إليه ، وعباراته السابقة تؤيد ذلك ؛ و بين

---

(١) ندع جانبا كتاب " الإنصاف " الذى حاول ابن سينا أن يفصل فيه فيما بين المشرقيين والمغربيين من خلاف ، والذى تضاربت الروايات حوله : هل ألف فى صورة نهائية أو بقى على هيئة مسودات ؟ وهل ضاع جميعه بعد نهب السلطان مسعود أو بقيت منه أجزاء ؟ ونكتفى بأن نحيل على تحقيق الدكتور بدوى لذلك (عبد الرحمن بدوى ، أرسطو عند العرب ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٢٣ — ٢٩) .

(٢) ابن سينا ، المدخل ، ص ١٠ .

(٣) ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ص ٤ .

(٤) لا نظننا فى حاجة أن نلاحظ أن كتاب "اللواحق" الذى نتحدث عنه شىء آخر غير كتاب "لواحق الطبيعة" الذى لا يزال مخطوطا ، وهو رسالة صغيرة فى العلم الطبيعى ، ولا تخرج كثيرا عن طبيعيات النجاة (قنواتى مؤلفات ابن سينا ص ١٣٧ — ١٣٨) .

العزم والتنفيذ مراحل[1] . ولم يكن يسيرا عليه أن ينجز ما وعد ، والعقد الأخير من حيـاته لم يكن أكثر هدوءا من سابقه : عانى فيه شـيئا من القلق والاضطراب ، وشغلته شواغل شتى . فقد كان مهددا ببطش السلطان محمود الغزنوى الذى دعاه إلى بلاطه فأبى ، والذى لم يكن يقـاسمه آراءه الفلسفية ، وما التجأ إلى أصبهان إلا ليحتمى بأميرها علاء الدين بن كاكويه ؛ ومع ذلك لم يسلم من نهب متـاعه وكتبه على يد السلطان مسعود بن السلطان محمود[2] . وفى لحظات الهدوء التى قضاها إلى جانب الأمير علاء الدين صرفته مناقشات ومنافسات عن بعض أهدافه الأولى ، فشغل بغرائب اللغة زمنـا ، وبرصد الأفلاك زمنا آخر. على أن علاء الدين، حاميه وتلميذه، لم يلبث أن قلب له ظهر المجن ، وغضب عليه غضبا شديدا حتى أمر بقتله[3] .

فكيف يتسنى له فى ظروف كهذه أن يخرج لنـا كتابا على النحو الذى يصوّر به "اللواحق" ؟ ويكفيه أنه أتم فى هذه الفترة "الشفاء" و"القـانون" ، وأخرج "النجاة" و"دانشنامة علائى" ، ثم "الإشارات والتنبيهات" صفوة تفكيره الفلسفى ، إلى جانب دراسات أخرى لغوية وفلكية وطبية[4] . على أنه لم يتم "كتاب النجاة" فيما يظهر ، وإنما أتمه تلميذه الجوزجانى، فهو الذى وضع قسمه الرياضى ، جامعا إياه من مؤلفات أستاذه السابقة[5] .

---

(١) Madkour, *L'Organon*, p. 22.

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤٢١ — ٤٢٥ . وقعت هذه الحادثة قبيل وفاة ابن سينا بثلاث سنوات ، وكان لها أثرها فى بعثرة كتبه وتساؤل بعض أصدقائه عن مصيرها (بدوى ، أرسطو عند العرب ، ص ٢٤٠ — ٢٤٥) .

(٣) البيهق ، تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٧٠ .

(٤) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤٢١ — ٤٢٢ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، جـ ٢ ، ص ٦ — ٨ .

(٥) قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، ص ٩٤ .

وأما "كتاب الفلسفة المشرقية" فقد ورد ذكره أيضا فى مقدمة "الشفاء"، ويقول عنه ابن سينا: «أوردت فيه الفلسفة على ما هى عليه فى الطبع، وعلى ما يوجبه الرأى الصحيح الذى لا يراعى فيه جانب الشركاء فى الصناعة، ولا يتقى فيه من شق عصاهم ما يتقى فى غيره»[١]. وقلَّ أن يثير عنوان كتاب من حب الاستطلاع ما أثار هذا العنوان، أو أن يوقع فى لبس وخطأ بقدر ما أوقع، وكأنما قدر له أن يكون محل أخذ ورد منذ ابن طفيل إلى اليوم[٢]. والذى لا نزاع فيه أنه لا يؤذن مطلقا بذلك الخلط الذى وقع فيه كثيرون من تفسير "المشرقية بالإشراقية"، إذ أن اللفظين مختلفان، ومدلولاهما متباينان. وفلسفة ابن سينا، وإن غذت الفلسفة الإشراقية ومهدت لها، تميز منها كل التميز[٣].

ويعنينا أن نعرف علام يصدق هذا العنوان، وهل أبقى الزمن على ذلك الكتاب الذى سماه ابن سينا "الفلسفة المشرقية". إن رجعنا إلى فهارس المكتبات وجدناها فعلا تشتمل على مخطوطات تحمل هذا الاسم، ولكنها، إن صح الوصف، ليست شيئا آخر سوى عرض لأجزاء الفلسفة الأربعة من منطق، وطبيعة، ورياضة، وإلهيات، على نحو ما يلحظ فى كتب ابن سينا المعروفة[٤]. وفوق هذا بين أيدينا كتاب ناقص يسمى "منطق المشرقيين"، وهو قريب كل القرب من هذه المخطوطات، ولعله جزء منها؛ وفيه ما يؤذن بأنه يرمى إلى معالجة مواد الفلسفة الأربعة الآنفة الذكر، وإن لم يصلنا منها إلا بعض

---

(١) ابن سينا، المدخل، ص ١٠

(٢) عرض نللينو هذا التاريخ عرضا مسهبا فى مقال جامع، يقوم على دراسة مستوعبة وبحث مستفيض وتحقيق شامل، وقد أشرنا إليه وإلى ترجمته العربية من قبل (ص ١٦ هامش).

(٣) Madkour, *La place d'Al-Fārābī*, p. 200.

(٤) قنواتى، مؤلفات ابن سينا، ص ٢٦ — ٢٨؛ Nallino, *art. cité*. ورغبة فى تصفية هذه النقطة تصفية نهائية، بدأنا فعلا فى جمع هذه المخطوطات، وليس فيها مطلقا ما يؤذن بفلسفة مغايرة لفلسفة ابن سينا المألوفة.

أجزاء المنطق ، و بحوثه على قصرها تلتقى بوجه عام مع آراء ابن سينا المعروفة ونظرياته المقررة[1] .

و إذن ليس ثمة محـل للقول بأن " كتاب الفلسفة المشرقية " يحوى آراء جديدة كل الجدة و يعرض فلسفة قائمة بذاتها ؛ ولو فهمت هـذه التسمية على وجهها ، أو بعبـارة أدق على الوجه الذى أراده ابن سينا ، لانتفى كثير من اللبس والخطأ . ومما يؤسف له أن مقدمة " الشفاء " لم تكن متداولة فى يسر، لا فى الشرق ولا فى الغرب ، منذ أثيرت هـــذه المشكلة ، فانساق الباحثون فى فروض واحتمالات دون أن يبحثوا عن هذه المقدمة و يرجعوا إليها[2] .

حقا إن ابن سينا هو الذى ابتكر هـذه التسمية ، ولكنه لم يرد أن يقطع بها كل صلة بالفلسفات الغربية أو القديمة، بل يبدو على العكس فى مقدمة "منطق المشرقيين"، الذى أشرنا إلى منزلته منها ، أشد ما يكون تمسكا بأرسطو و إعجابا بآرائه واعترافا بفضله ، و يصرح بأنه انحاز إلى المشائين وتعصب لهم ، لأنهم أولى فرق السلف بالتعصب[3] .

غير أن هذا الانحياز وذلك الاعجاب لا يمنعانه من أن يناقش و يعارض و يتدارك على أرسطو ما فاته، و يكمل ما قصر فيه [4]. وتلك كانت طريقته، إن فى "الشفاء" أو فى كتبه الأخرى ، وكل ما فى الأمر أن " الشفاء" وهو غزير المـادة يسجل آراء السابقين فى إفاضة قد تخفى فيها المعارضة أحيانا ، أما الكتب الصغيرة فروح

---

(1) ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ص ٦ .

(2) ص (١٦) ، هل لنا أن نشـــير إلى أن لاتينى القرن الثانى عشر ترجموا " الفلسفة المشرقية" هكذا philosophia orientalis ، فلم يقعوا فى ذلك الخطأ الذى وقع فيه بعض المعاصرين ؛

(3) ص(١٧) ؛ ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ص ٢ — ٣ . يرجح كل الترجيح أن تكون مقدمة "الشفاء" ومقدمة "منطق المشرقيين" قد وضعتا فى تاريخ واحد أو متلاحق ، لأن الروح والمعانى فيهما متقاربة" أو مشتركة . ومن المرجح أيضا أن مقدمة "الشفاء" لم تكتب الا بعد إتمامه جميعه وفى جو تلك المقارنات التى يمثلها "كتاب الإنصاف" ، "ومنطق المشرقيين" "والفلسفة المشرقية" .

(4) المصدر السابق ، ص ٣ .

النقد فيها أبرز. وقد عبر ابن سينا عن هذا أحسن تعبير حيث قال: "إن الشفاء" أكثر بسطا، وأشد مع الشركاء من المشائين مساعدة؛ فى حين أن "كتاب الفلسفة المشرقية" لا يتقى فيه كثيرا شق عصا الطاعة والخروج عليهم[1]. ومع هذا فى "الشفاء" " تلويح بما لو فطن له استغنى عن الكتاب الآخر"[2]. فابن سينا هو هو فى هذا الكتاب أو ذاك، ينقد ما اقتضى الأمر نقده. ويناقش حين يدعو إلى المناقشة داع، ويدلى بما عنده فى صراحة أو فى شىء من التلويح، ويأخذ بما يطمئن له من الآراء، سواء أكانت لأرسطو أو غيره.

٧ — إلى أى مدى يعبر عن فلسفته ؟ :

يعتبر ابن سينا بحق الممثل الأول للفلسفة الإسلامية، وإذا كان الكندى والفارابى قد سبقاه إلى وضع دعائمها وتكوين عناصرها، فإنه هو الذى صورها تصويرا اكتملت به شخصيتها واتضحت معالمها. ولم يبق مجال للشك فى أن هناك فلسفة إسلامية، لا هى بالمشائية الخالصة، ولا الأفلوطينية البحتة. وإنما هى ضرب من البحث والدراسة أنتجته ظروف خاصة وبيئة معينة، تأثرت بالفلسفات القديمة وأثرت فيها، وأخذت عنها وأضافت إليها، وأصبحت حلقة من حلقات التفكير الإنسانى لها خصائصها ومميزاتها[3].

عرضت للمشكلات الفلسفية الكبرى، وعالجتها علاجا خاصا. ودرست نظرية الوجود درسا مستفيضا، ففصلت الواحد من المتعدد، وافتنت فى تحديد الصلة بينهما. وبحثت نظرية المعرفة بحثا عميقا، ففرقت بين النفس والعقل، والفطرى والمكتسب، والصواب والخطأ. وفصّلت القول فى نظرية الفضيلة والسعادة،

---

(١) ابن سينا، المدخل، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مدكور، فى الفلسفة الإسلامية، ص ١٥، ١٨ — ١٩.

فقسمت الفضائل وفرعتها ، وانتهت إلى فضيلة الفضائل التى يسمو إليها بعض الناس كالأنبياء ، وهى تأمل دائم ونظر مستمر . واستوعبت أقسام الفلسفة المألوفة، نظرية كانت أو عملية، من طبيعة، ورياضة، وميتا فيزيق، وأخلاق، وتدبير منزل، وسياسة ، وضمت إليها الطب وعلوم الحياة ، والكيمياء والنبات ، والفلك والموسيقى، على أساس أنها شعب وتفريعات لأقسام الفلسفة الرئيسية[١].

إذا كانت هذه هى الفلسفة الإسلامية، أو بعبارة أخرى إذا كانت هذه هى فلسفة ابن سينا، فإن "الشفاء" من أصدق وأشمل كتبه تعبيرا عنها . يعرض المشكلات السابقة عرضا مسهبا ، ويحللها تحليلا دقيقا، ويضم إليها ألوانا من الدراسات العلمية التى كانت تعد أجزاء من الفلسفة [٢]. نلحظ فيه آراء لأرسطو، وأخرى لأفلاطون وأفلوطين، وثالثة لزينون وكريزيب[٣]. ولكنها جميعا مزجت مزجا تاما، وكونت وحدة منسقة متصلة الأجزاء، يبدو فيها تجديد ابن سينا وابتكاره. وأوضح ما يكون هذا الابتكار فى نقد بعض نظريات القدامى ورفضها ، أو فى تأييدها وإدعامها .

فيناقش ، مثلا ، ماذهب إليه ثاوفرسطس من تطبيق فكرة الكم على المحمول كما طبقت على الموضوع ، مناقشة تنظمه فى صف المناطقة المحدثين، الذين عارضوا نظرية مشابهة قال بها هملتون فى القرن التاسع عشر [٤]. ويعارض ثامسطيوس معارضة صريحة فيما قرره من الاعتداد بالشكل الأول وحده، منضما إلى مقسيموس الأزميرى [٥]، فى إثبات أن لا غنية عن الشكلين الثانى والثالث، وأن هناك

---

(١) ص (٥٣) .

(٢) ص (١١) .

(٣) ص (١٧) .

(٤) Madkour, *L'Organon* pp., 189-190.

(٥) يسميه العرب " ماكسيمس " ، ويعدونه بين شراح أرسطو ، وإن كان لا يبدو أنهم ترجموا له شيئا (ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥٧) . وقد عنى خاصة بأشكال القياس ووظيفة كل منها (*Waitz, Organon, I, 45*) ، وكان له فى ذلك نقاش طويل مع ثامسطيوس استلفت نظر المسلمين، وخاصة ابن سيناء .

ضروبا من البرهنة لا تتم فى يسر إلا عن طريقهما[١] ، فيذكرنا بما قاله لاشيليه أخيرا عن أشكال القيـاس الثلاثة ووظيفة كل منها[٢] . ويفتن فى البرهنة على وجود النفس ، ويقيم عليه أدلة عدة ، أخصها برهانه المشهور الذى سمى برهان الرجل الطائر ، وما أشد قربه من الكوجيتو الديكارتى[٣] .

هذه ودقائق أخرى غيرها نجدها معروضة عرضا مفصلا فى "الشفاء"، فى حين أنها قد لا تذكر فى كتب ابن سينا الأخرى ، أو إن ذكرت ففى إشارة عابرة . وبقدر ما نعلم ، نستطيع أن نقول إنه لا توجد فكرة من أفكار ابن سينا الفلسفية الأصيلة والمبتكرة إلا ولهـا فى هـذا الكتاب ذكر . ويقيننا أنه يوم أن تتداوله الأيدى ويقرأ فى يسر، سيزداد رأينا هذا ثبوتا وتأييدا . وكفى ما مضى من أخطاء منشؤها التعجل بالحكم على " الشفاء " دون اطلاع أو قراءة .

قد يقال إن فلسفة ابن سينا تطورت . وإذا صح أن " الشفاء " يعبر عنهـا ، فـا ذاك إلا فى مرحلة خاصة ، تلتها مراحل أخرى اعتنق فيها فيلسوفنا آراء ونظريات مغايرة[٤] . إلا أنه سبق لنا أن بينا أن من الخطأ أن يعد "الشفاء"

---

(١) بدوى ، أرسطو عند العرب ، ص ٦١ — ٦٤ ؛ Ibid. pp. 212-215.

(٢) J. Lachelier, *Théorie du Syllogisme,* dans *Rev. philos.*, 1876, p. 485; *Etudes sur le syllogisme,* Paris. 907, pp. 75-76.

(٣) مدكور ، فى الفلسفة الإسلامية ، ص ١٧٧ — ١٧٩ .

(٤) عرضت الآنسة جواشون لهذا التطور فى أكثر من موضع :

Goichon, *L'évolution philosophique d'Avicernne,* dans *Rev. philos.* Juillet-sept. 1948; *Livre des directives et des remarques.* Paris, 1950, p. 5 et; *La personnalité d'*Ibn Sīnā, dans *Avicenne,* Radio-Diffusion française, Paris 1951.

ولكنها لم تقدم له أمثلة بارزة ، ولم تقم عليه أدلة واضحة . والذى لا نزاع فيه أنا لسنا أمام فلسفتين متباينتين ، يمكن أن تسمى إحداهما فلسفة الشباب أو الكهولة ، والثانية فلسفة الشيخوخة ، أو بعبارة أخرى الفلسفة المشائية والفلسفة المشرقية .

بين مؤلفات الشباب أو الكهولة ، وأنه لم يفرغ منه إلا فى العقد الخامس من عمره ، فليس ثمة مراحل تفكير منفصلة أو متباينة . وإذا كان "كتاب الإشارات" ، وهو آخر مؤلفاته ، قد امتاز بقسمه الصوفى ، فإن هذا القسم إنما يقوم على دعائم من نظريتى النبوّة والعقل القدسى اللتين عنى بهما "الشفاء"[1]. على أن تصوف ابن سينا أقدم من الكتابين معا .

ونحن لا ننكر أن تفكير العالم أو الفيلسوف فى نشاط مستمر ، ولكن ليس بلازم أن تؤدى هذه الحركة دائما إلى انقلاب أو تطور يهدم ما تقرر من قبل. وابن سينا بوجه خاص من بين أولئك المفكرين الذين استقرت مبادئ فلسفتهم فى سن مبكرة ، ولم يطرأ عليها فيما بعد تغيير يذكر . ولا أدل على هذا مما يحكيه فى ترجمته لنفسه ، فيقول : « فلما بلغت ثمانى عشرة سنة من عمرى فرغت من هذه العلوم كلها ، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه اليوم معى أنضج ، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لى بعده شىء[2] » .

٨ — شرحه وترجمته :

لئن كان الزمن لم يفسح لابن سينا أن يشرح "الشفاء" كما وعد ، فقد اضطلع بهذا باحثون آخرون[3] . لا سيما والاختصار والتلخيص ووضع المتون والرسائل من جانب ، أو التوضيح والتعليق وتأليف الشروح والحواشى من جانب آخر ، كانت المنهج السائد فى الدراسات الإسلامية منذ القرن الخامس الهجرى . وقد تولى شرح "الشفاء" كثيرون ، نخص بالذكر منهم صدر الدين الشيرازى المتوفى فى منتصف القرن الحادى عشر للهجرة ، والذى

(١) ابن سينا ، الشفاء ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ ، جـ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤١٦ . عاد ابن سينا الى المعنى نفسه ، أكده فى منطق المشرقيين ، ص ٣ .

(٣) ص (١٩) .

كان يعد المجدد لتعاليم ابن سينا ، وقد طبع شرحه على هامش ما طبع من أجزاء "الشفاء" [١] . ولا يزال معظم هذه الشروح، أو الحواشى كما تسمى أحيانا، مخطوطا ، ولم يفد منها بعد الفائدة المرجوة . وما عرف منها أقرب إلى التفسير اللفظى والاستشهاد بمؤلفات ابن سينا الأخرى ، منه إلى الدراسة الموضوعية التى تضيف مادة جديدة . ومهما يكن من أمرها ، فإن دراسة "الشفاء" دراسة كاملة تقتضى الكشف عنها وتقديمها للقراء .

أما اختصار هذا الكتاب فقد تولاه ابن سينا نفسه ، وترك لنا فى "النجاة" أصدق تلخيص له[٢] . وقد عوّل عليه الباحثون فيما بعد ، واكتفوا به . ولم نر "للشفاء" تلخيصا آخر إلا محاولات متأخرة فى القرنين الماضيين ، ولاتزال مخطوطة أيضا[٣] .

وقد ترجم "الشفاء" كله أو بعضه إلى لغات عدة قديما وحديثا . فقديما عرفته الفارسية [٤] ، ونقل إلى اللاتينية منه قسط كبير[٥] . ويظهر أنه لم يجد سبيله لا إلى السريانية ولا إلى العبرية [٦] . وفى التاريخ الحديث ترجمت

---

(١) ابن سينا ، الشفاء ، طبعة طهران .

(٢) ص (١٨) .

(٣) قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، ص ٧٩ ؛ محمد كاظم الطريحى ، ابن سينا ، النجف ، ١٩٤٩ ، ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) Mlle M.-Th. d'Alverny, *Ibn Sīnā et l'Occident médiéval*, dans *Avicenne*, Radio-Diffusion française, Paris, mars 1951; Crombie, *Avicenna's influence on the mediaevalscientific tradition* (University ofCambridge,1951).

(٦) ذهب بروكلمان خطأ إلى أنه ترجمت منه أجزاء إلى السريانية ، محيلا على تاريخ الأدب السريانى لبومشترك : و Brockelmann, *Gcschic. der arab. Lit.*, Berlin, 1902, Suppl. (T. I, p. 815).

وقد أخذ عنه الأب قنواتى فى كتابه : "مؤلفات ابن سينا" (ص ٧٨) . ولكن الحقيقة أن =

أجزاء شتى إلى اللغات الأوربية ، فنقل منه إلى الإنجليزية مثلا كتاب الشعر[1] ، وإلى الفرنسية الموسيقى[2] ، وإلى الألمانية أبواب مختلفة من الطبيعيات والإلهيات والفلك[3] . ولقد أثارت هذه الترجمات بحوثا عدة ، وساعدت على بسط أثر "الشفاء" فى ثقافات مختلفة .

٩ — أثره فى العالم العربى :

أثر كتاب ما من أثر مؤلفه، فيدخل فى جملة ما يرث الناس عنه وما يُقرأ له ، اللهم إلا أن يكون هذا الكتاب ذا شأن خاص وتاريخ مستقل . وفلسفة ابن سينا هى فلسفة العالم العربى منذ القرن الخامس الهجرى إلى أوائل القرن الرابع عشر، وعنها أخذ الباحثون على اختلافهم، من فلاسفة ومتكلمين وصوفية. بل إن الدراسات العلمية اللاحقة عوّلت عليه أيضا التعويل كله ، إن فى الطب وعلوم الحياة ، أو فى الفلك والرياضة ، ويمكن أن يقال إنه فيلسوف الإسلام غير منازع[4] .

إحالة بروكلمان خاطئة ، فإن " بومشترك " إنما يحدث عن " عيون الحكمة " لا عن "الشفاء".

Baumstark, *Geschichte der Syr. Lit.*, Bonn, 1922, p. 317, No. 3.

وأما العبرية فقد قرر استينشنيدر أنه لم يترجم إليها :

Steinschneider, *Die Heb. Ubers.*, pp. 281-282.

وعلى ذلك ينبغى ألا تؤخذ إحالة الأب قنواتى فى هذا أيضا على علاتها (مؤلفات ، ص ٧٨) .

(١) Margoliouth, *Analecta orienatalia ad Poeticam Arietotelem*, London, 1887.

(٢) D'Erlanger, *Kitāb al-Shifā, Mathématiques, ch.XII*, in *La Musique arabe*, II, Paris, 1923.

(٣) Horten, *Das Buch der Genesung der Seele*, XII Teil enthaltend die Metap. und Theologie ubers., Halle, 1907; Widemann *Einleitung zu dem astrosronomischen Teil des K. al-Shifā.* Erlangen 58 (1928).

(٤) مذكور ، فى الفلسفة الإسلامية ، ص ٦ — ٧ ، ١٨٨ — ١٨٩ ، ٢١١ — ٢١٢ .

حقا إن حملة الغزالى على الفلسفة والفلاسفة سدت الطريق فى وجهه ، وصرفت عنه كثيرين ، ولكن ما بقى فى الإسلام من دراسات فلسفية مدين له . ولم تعد مدرسة الأندلس على شيء من نفوذه فى الشرق، برغم مجيئها بعده، وتعدد رجالها، وعظم منزلتهم ، وخاصة ابن رشد الذى خلف ثروة فلسفية طائلة . ويظهر أن حظ هذه المدرسة ارتبط بحظ الأندلس جميعه ، لهذا لم يكن غريبا أن نرى ابن رشد أوثق صلة بالعالم اللاتينى منه بالعالم العربى[١] .

ولقد تدورست كتب ابن سينا من بعده ، وكان الإقبال على "النجاة" و"الإشارات" عظيما . إلا أن هذا لم يصرف طلاب الفلسفة عن "الشفاء"، لاسيما وفيه مادة لايغنى عنها الكتابان الآخران،وكلما امتد البحث إلى التفاصيل والدقائق بدا لزومه واشتدت الحاجة إليه. فالغزالى مثلا فى "تهافت الفلاسفة"، والشهرستانى فى "نهاية الإقدام" حين يفصلان القول فى حدوث العالم واستحالة قدمه يحكيان على لسان ابن سينا آراء استمدا أغلبها من "الشفاء"[٢]. ولسنا فى حاجة أن نشير إلى أن ابن رشد كثيرا ما ينقل عن "الشفاء" مؤيدا أو معارضا ، ويصرح باسمه فى بعض كتبه[٣] . وندع جانبا نصير الدين الطوسى الذى يعد من تلاميذ ابن سينا المخلصين ، وإن تأخر عنه بنحو قرنين ونصف ، وموقفه من فخر الدين الرازى ومعارضته له بسبب الآراء السينوية معروف[٤] . وقد أدرك ابن خلدون ما "للشفاء" من أهمية، فنوه عنه فى غيرما موضع من "مقدمته"[٥] .

---

(١) Renan, *Averroès et l'averroïsme*, Paris, 1925, pp. 36-42.

(٢) الغزالى ، تهافت الفلاسفة ، بيروت ، ١٩٢٧ ، ص ٢٣ — ٧٨ ، ٧٩ — ١٣٢ ؛ الشهرستانى ، نهاية الإقدام ، لندن ، ١٩٣٤ ، ص ٢٥ — ٢٩ ، ٣٣ — ٣٥ ، ٢٢٤ — ٢٢٥ . ومما يلفت النظر أن هذين الباحثين تعاصرا فتلاقيا إلى حد كبير فى اتجاههما ، دون أن يتقابلا فيما يظهر .

(٣) Nallino, art. cit.

(٤) نصير الدين الطوسى ، شرح الإشارات ، وبهامشه شرح الرازى ، القاهرة ١٣٢٥ هـ ؛ قطب الدين الرازى ، المحاكمات بين الإمام والنصير ، القاهرة ١٢٩٠ هـ .

(٥) ابن خلدون ، مقدمة ، بيروت ، ١٨٧٩ ، ص ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ .

وهناك كتب ثلاثة قدر لها أن تسود الدراسات العقليـة الإسلامية فى العصور الأخيرة . ونعنى بها " العقائد" للنسفى ، و " المواقف " للإيجى ، و "المقاصد" للتفتازانى، والمتأمل فى شروحها وحواشيها يتبين مدى تعويلها على "الشفاء"،وأخذها عنه. ودون أن ندخل فى تفاصيل ذلك نكتفى بأن نشير مثلا إلى أن صاحب "العقائد" يتيح لشراحه فرصة التحدث عن التصور والتصديق، فيوردون حقائق ومعلومات شبيهة كل الشبه بما أورده صاحب " الشفاء " فى موضوع المنطق[1] . ويقف الإيجى فى كتابه الآنف الذكر مرصدا طويلا على العلل ، مبينا أنواعها ،وملازمتها لمعلولاتها ، والفرق بين جزء العلة وشرطها ، فتلمس فى هـذا كله صدى بحث العلة فى طبيعيات "الشفاء"[2] . ويتحدث صاحب "المقاصد" حديثا طويلا عن الحركة ، فيحاكى فيه تمام المحاكاة المقالة الثانية من السماع "الطبيعى" لابن سينا[3] . ويخيل إلينا أن نشر "الشفاء" نشرا صحيحا سيفسح المجال لمقارنات مفيدة فى هذا الباب .

ولقد كانت الرغبة أكيدة فى اختصار المنطق وتركيزه فى هذه العصور ،ومن أمثلة ذلك "إيساغوجى" للأبهرى ، "والشمسية" للقزوينى ، و "السلم" للأخضرى ؛ وعليها قامت الدراسات المنطقية العربية فى القرون الستة الأخيرة[4] . ومع هذا

---

(١) النسفى ، العقائد ، وبهامشه شرح التفتازانى ، والخيالى ، وعبد الحكيم ، والعصام ، القاهرة ١٩١٣ ، ص ٧٠ — ٧٦ ؛ ابن سينا ، المدخل ، ص ١٩ — ٢٢ .

(٢) الإيجى ، المواقف ، القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ ، المرصد الخامس من الموقف الثانى ؛ ابن سينا ، الشفاء ، جـ ١ ، ص ٢٠ — ٣٣ .

(٣) سعد الدين التفتازانى ، المقاصد ، طبعة القسطنطينية ، جـ١ ، ص ٢٥٩ — ٢٧٩ ؛ ابن سينا ، الشفاء ، جـ ١ ، ص ٣٤ — ٤٩ .

(٤) Madkour, *L'Organon*, pp. 243-245.

نرى فى هذه الفترة كتابا آخر اهتدى اليه أخيرا ، وفيه شيء من البسط والتوضيح الذى يصعد به إلى منطق "الشفاء"[1] . ونعنى به كتاب "البصائر النصيرية" الذى يحرص مؤلفه على أن يعزو بعض الآراء رأسا إلى ابن سينا أو "أفضل المتأخرين" كما يسميه[2] . وفى اختصار بقى "الشفاء" يتدارس فى بعض مساجد الشرق إلى اليوم ، إن عن طريق مباشر أو غير مباشر .

١٠ — امتداده إلى العالم اللاتينى :

لم يقف أثر "الشفاء" عند الشرق ، بل امتد إلى الغرب ، وكان من الكتب الأولى التى نقلت إلى اللاتينية ، بدئ فى ترجمته ولما يمض على وفاة ابن سينا قرن واحد . وما إن ترجم قسط منه حتى تلقفته الأيدى فى مختلف العواصم الأوربية ، وبلغت النسخ المتداولة من بعض أجزائه نحو الخمسين . وكان لهذا التداول شأنه فى إثارة حركة فكرية بلغت مداها فى القرن الثالث عشر ، حتى لقد وصل الأمر ببعض مؤرخى الفلسفة المدرسية أن قالوا بوجود مذهب سينوى لاتينى إلى جانب مذهب ابن رشد اللاتينى الذى قيل به فى أوائل هذا القرن[3] .

---

(١) اهتدى إلى هذا الكتاب الأستاذ الإمام محمد عبده أثناء مقامه ببيروت سنة ١٣٠٤ هـ ، وقرر تدريسه بالأزهر بعد ذلك بنحو ١٢ سنة . وطبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة ، سنة ١٨٩٨ م ، ومؤلفه هو عمر بن سهلان الساوى من رجال القرن الخامس الهجرى ، وسماه باسم نصير الدين محمد بن عبد الملك بن توبه من أعيان مرو وفقهائها (السبكى ، طبقات الشافعية ، طبعة القاهرة ، ص ٣٠٨) ؛ انظر أيضا : *Islamic Culture VI (1923), :* p. 592 ff.

(٢) الساوى ، البصائر النصيرية ، ٢٨ ، ٦٨ ؛ ولا غرابة فقد كان الساوى ينسخ "الشفاء" ، ويبيع ما ينسخه بأثمان باهظة يتعيش منها .

(٣) نشير هنا إلى :

P. Mandonnet, *Siger de Brabant et l'averroïsme latin au XIIe siècle*, Louvain, 1908.

وإلى :

R. de Vaux, *L'avicennisme latin aux confins du XII-XIIIe siècles*, Paris, 1934.

وقد تمت هذه الترجمة على مرحلتين : مرحلة مبكرة بدأت فى الربع الثالث من القرن الثانى عشر ، وأخرى لاحقة جاءت بعدها بنحو مائة سنة . ويظهر أن الغربيين اتجهوا أولا نحو ابن سينا العالم ، ومنه انتقلوا إلى ابن سينا الفيلسوف. فلفت نظرهم طبه ، وترجموا "القانون" كاملا ؛ وشغلهم الفلك والتنجيم ، فجدوا فى البحث عن طبيعيات "الشفاء" (١) . وكانت بلاد الأندلس المورد الأول الذى أخذوا عنه هذا التراث الشرقى ، وكلما تمكنوا منها زاد نصيبهم منه ؛ ولأمر ما بدأت ترجمة "الشفاء" فى طليطلة التى كانت مدينة إسلامية قبل ذلك بنحو ربع قرن .

ولم تكن هذه الترجمة سهلة ولا ميسرة ، خصوصا وفى الكتاب دقة وغموض أحيانا ، ولم تستخدم العبرية وسيطا كالعادة ، وإنما تم النقل من العربية إلى لغة دارجة هى القشتالية فى ترجمة حرفية ، ومنها إلى اللاتينية(٢) . وقد اضطلع بهذا خاصة جند سالينوس ، مستعينا باسرائيلى يجيد العبرية ويعرف القشتالية ، فترجم "كتاب النفس"، والجزء الأول من المنطق "المدخل"، و "ما بعد الطبيعة". وترجم فى هذه الفترة أيضا الكتابان الأول والثانى من "الطبيعيات"(٣) .

وفى المرحلة الثانية أتمت "الطبيعيات" كلها تقريبا ، فترجم منها الكتاب الثالث ، والرابع ، والخامس ، والثامن وهو آخر الأجزاء(٤) . ويتضح من هذا أن اللاتينية عرفت من جمل "الشفاء" الأربع ، الجملة الأخيرة فى الإلهيات كاملة ، والجملة الثانية فى الطبيعيات ما عدا الكتاب السابع الذى ينصب

---

(١) Crombie, *art. cit.*; D'Alverny, *art. cit.*

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

على النبات . ولم تعرف من الجملة الأولى فى المنطق إلا "المدخل" ، وأهملت إهمالا تاما الجملة الثالثة فى العلم الرياضى[١] . وأغلب الظن أن اللاتينيين كانوا يترجمون ما يقفون عليه ، ولعل هذه الأجزاء الناقصة لم تقع تحت نظرهم .

ومهما يكن من أمر هذا النقص فإن ما ترجم من "الشفاء" كان كافيا لأن يصوّر جانبى ابن سينا العلمى والفلسفى ، بل وأن يعطى فكرة صادقة عن طريقته ومنهجه ؛ وكان لذلك آثار عميقة فى الحياة الفكرية اللاتينية . فبعثت أجزاء "الشفاء" الطبيعية آراء ونظريات علمية ساهمت ولا شك فى النهضة الأوربية الحديثة ، وفى مقدمتها الجزء الخامس الخاص بالمعادن والآثار العلوية . ففيه قضى ابن سينا على دعاوى الكيميائيين السائدة حين ذاك ، من إمكان تحويل المعادن الدنيئة إلى معادن نفيسة ، وكان لرأيه هذا وزنه عند ألبير الأكبر وروجر بيكون[٢] . واعتنق الرأى القديم القائل بكروية الأرض ؛ فمهد لكوبرنيق وجاليليو . وشرح تكوين الجبال والصخور شرحا اعتمدت عليه نظرية البراكين التى ظهرت فى القرن السابع عشر[٣] .

وكل ذلك فى ملاحظة صادقة وتجربة منظمة ، وكثيرا ما يستشهد على الرأى الذى يرتئيه بتجاربه الخاصة وملاحظاته الشخصية . ولا غرابة فهو طبيب وعالم إلى جانب أنه نظرى وفيلسوف، وفى اختباره للأدوية وتشخيصه للأدواء يضع طائفة من القواعد التى لابد أن يكون قد أفاد منها المنهج التجريبى الحديث[٤] .

---

(١) ندع جانبا ما ترجمه هرمان الألمانى من كتاب الخطابة (أحد فنون منطق الشفاء) فهو جزء صغير أريد به توضيح شرح ابن رشد لكتاب الخطابة لأرسطو .

(٢) Madkour, *Ibn Sīnā et l'alchimie arabe,* dans *Rev. du Caire,* juin 1951, H Holmyard, *Kitāb Al Shifā,* Paris 1927 p.85

(٣) Crombie, art cit

(٤) Ibid.

فالدواء يجب أن يختبر فى الأمراض المتعارضة ، وأن تثبت صلاحيته فى حالات عدة ، وأن يختلف كمه ونوعه تبعا لشدة المرض وضعفه ، وألا يكتفى بتطبيقه على الحيـوان بل يجرب فى الإنسان [(١)] . وفى تشخيص الداء ينبغى أن يستعان بأماراته وأعراضه المختلفة ، مع ملاحظة أن من بينها ما هو ظاهرى وحقيقى ، وما هو مؤقت ودائم ، وما يدل على نوع المرض أو على منشئه ، وللمس والسمع والبصر والشم والذوق دخل كبير فى الكشف عن هذه الأعراض [(٢)] . فمن هذه التجارب الطبية نشأت نزعته التجريبية العامة التى تبدو واضحة فى بحوثه الطبيعية .

وأما فلسفته فيمثلها لدى اللاتينيين خاصة "المدخل" الذى ترجم من قسم المنطق ، و "كتاب النفس" وإن عد من أجزاء الطبيعيات ، و "ما بعد الطبيعة" الذى اشتمل على الإلهيات جميعها . وإذا كان "المـدخل" قـد غذى مشكلة الكليات التى كان لها شأن فى القرون الوسطى المسيحية ، فإن كتابى "النفس" و "ما بعد الطبيعة" كانا دعامة البحوث الفلسفية الهامة فى القرن الثالث عشر [(٣)] . ولا نظن أن مؤلفا من مؤلفات ابن سينا الفلسفية صادف ما صادفه "كتاب النفس" من دراسة وانتشار فى هذه الفترة ، ذلك لأنه عالج أمورا كانت الفلسفة المدرسية فى أمس الحاجة إليها . فعرض للنفس فى حقيقتها وخلودها ، وشرح جانبى المعرفة الحسى والإشراقى ، فالتقى مع آراء كان للمسيحيين بها وثيق الصلة ، وهى آراء القديس أوغسطين وديونسيوس الأريوباغى [(٤)] . ويعرض كتاب "ما بعد

(١) ابن سينا ، القانون فى الطب ، رومة ١٥٩٣ ، ص ١١٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٦ — ٣٩ .

(٣) I. Madkour, *L'Organon*, pp. 148-155.

(٤) Rohmer, *Sur la doctrine franciscaine des deux faces de l'âme* dans *Arch. d'Hist. doctr. et litt. du moyen âge*. 1927, pp. 73-77.

انظر أيضا :

مدكور ، فى الفلسفة الإسلامية ، ص ١٤٧ — ٢٤٨ .

الطبيعة " لنشأة العالم وطبيعة الإله وصلته بمخلوقاته ، ويحاول التوفيق بين العقل والنقل ، فيلمس أدق الموضوعات التى شغلت " كلية أصول الدين " بباريس زمنا [١] .

ومن هنا نشأت الأوغسطينية السينوية أو مـذهب ابن سينا اللاتينى اللذان كان لهما آثار واضحة فى القرن الثـالث عشر [٢] . فلم يقف الأمر عنـد حكاية آراء ابن سينا والتصريح باسمه ، بل كان له مؤيدون ومعجبون ، وفى مقدمتهم روجر بيكون وألبير الأكبر . وكان له أيضا معارضون يخشون نفوذه لدى بعض رجال الدين والفلاسفة فأخذوا يناقشون آراءه رأيا رأيا ، وينقضون حججه حجة حجة ، وعلى رأس هؤلاء يجب أن نضع جيوم دوفرنى وتوماس الأكوينى [٣] . وفى هذا التأييد والمعـارضة ما يكشف عما أثاره " الشفاء " من حركة فكرية واسعة لدى رجال الدين والفلاسفة فى أوج الفلسفة المدرسية .

(ب) منهج النشر

ما إن قررت جامعة الدول العربية إحياء الذكرى الألفيـة لميلاد ابن سينا حتى سارع الأفراد والهيئات إلى المساهمة فى ذلك ، كل على النحو الذى

---

(١) De Vaux, *L'avicennisme latin*, pp. 21-30.

(٢) كتب الاستاذ جلسون أربع مقالات عامرة لإثبات هذه الأوغسطينية السينوية وهى : —

1.—Pourquoi St. Thomas a critiqué St. Augustin? (*Archives* 1926)

2.—Avicenne et le point de départ de Duns Scot (*Ibid.* 1927).

3.—Les sources gréco-arabes de l'augustinisme avicennisant (*Ibid.* 1927)

4.—Roger Marston:un cas de l'augustinisme avicennisant (*Ibid.* 1933

(٣) Forest, *La structure métaphysique du concret selon saint Thomas d'Aquin*, Paris, 1931, pp. 331-360.

يبدو له[1] . فمن حفلات تنظم إلى مهرجانات يعد لهـا ، ومن إذاعات تطوف فى الأرجاء إلى بحوث ومقالات تدون فى المجلات العلمية الكبرى[2] . وها هى ذى الأقطار الشرقية تعد العدة لمهرجانى بغداد وطهران اللذين سيقامان فى الربيع القادم .

---

(١) صدر قرار الجامعة العربية فى أوائل سنة ١٩٤٩ ، وقد ولد ابن سينا على أصح الروايات سنة ٣٧٠ هـ ، فعامنا الحالى (١٣٧٠ هـ) صالح كله لإحياء هذه الذكرى ، وينتهى فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، لذا كان مقررا أن يقام مهرجان الجامعة العربية ببغـداد قبل نهايته ، ولكنه أخر إلى إبريل سنة ١٩٥٢ تقريبا له من مهرجان طهران ، ومراعاة لبعض الاعتبارات الجوية .

(٢) من هذه الحفلات ما نظمته جامعة كمبردج فى فبراير ومارس الماضيين من إلقاء ست محاضرات تدور حول ابن سينا وهى :

1.—Arberry, *Avicenna's Life and Times,*
2.—Teicher, *Avicenna's Place in arabian Philosophy.*
3.—Wickens, *Aspects of Avicenna's writings.*
4.—Rosenthal, *Avicenna's influence in jewish Thought.*
5.—Crombie, *Avicenna's influence on the mediaeval scientific tradition*
6.— Foster. *Avicenna and western Thought in the 13th century.*

ومنها أسبوع ابن سينا الذى نظمه القسم العربى لراديو باريس فى مارس المـاضى واشتمل على ما يلى :

(١) كلمة الافتتاح ، لصاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف المصرية .
(٢) حياة ابن سينا ، للأستاذ بن يحيى .
(٣) Mlle Goichon, *La personnalité d'Avicenne*
(٤) ابن سينا والمرأة ، للأستاذ أحمد المختار الوزير .
(٥) النفس بين المشائية والصوفية فى مذهب ابن سينا ، للسيد جبور عبد النور .
(٦) Mlle d'Alverny, *Ibn Sīnā et l'Occident médiéval.*
(٧) معرفة الله للكليات والجزئيات ، للأستاذ الصواف .
(٨) L. Gardet, *La connaissance mystique de Dieu selon Ibn Sīnā*
(٩) كلمة الختام ، للأستاذ ماسينيون .

وأخيرا تلك الحفلة التى أقامتها الجمعية المصرية لتاريخ العلوم بدار الجمعية الجغرافية بالقاهرة فى مايو ، وقد ألقيت فيها الكلمات الآتية :

(١) أثر ابن سينا فى النهضة العلمية بأوربا ... ... للآنسة دلفرنى .
(٢) مؤلفات ابن سينا ... ... قنديل بك .
(٣) نظرات فى كتاب القانون لابن سينا ... ... كامل حسين بك .
(٤) المنحى الحسى فى مبحث المعرفة عند ابن سينا ... ... مصطفى نظيف بك .
(٥) ابن سينا والكيمياء ... ... الدكتور ابراهيم مذكور .
(٦) الآراء الجيولوجية لابن سينا ... ... الأستاذ ساطع الحصرى .
(٧) ابن سينا وعلم الحياة ... ... الأستاذ بنونة .

ففى كل عاصمة من عواصمها حلقة أو حلقات للدرس ، تحاول أن تكشف عن أثر من آثار الأستاذ الرئيس ، أو أن تحقق نصا من نصوصه[1] .

وللإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية فى هذا كله فضل السبق والتوجيه ، والتنظيم والتنسيق . فهى التى تربط هذه الحلقات بعضها ببعض ، وتحول دون تعارض الجهود أو تكرارها . وقد بدأت منذ عامين أو يزيد فى جمع المخطوطات التى تشتمل على مؤلفات ابن سينا والموجودة فى المكتبات الشرقية والغربية . فأرسلت فى طلبها بعثة إلى الأندلس ، وأخرى إلى إيران ، وثالثة إلى الآستانة حيث يوجد منها ما يربو على الألف وخمسمائة مخطوط ، وتوفر لها من ذلك مادة صالحة لتحقيق ودراسة مستفيضة[2] . ونرجو أن تتابع جمع هذه المخطوطات المبعثرة فى أنحاء العالم ، كى تيسر أمرها على الباحثين والدارسين .

وكان لبعثة الآستانة بوجه خاص أثرها فى إتمام تلك المحاولة التى عنى بها الأب قنواتى منذ زمن ، والتى كانت ترمى إلى حصر مؤلفات ابن سينا جميعها[3] . وقد تم له ما أراد بعد سفره إلى الآستانة ، وأخرج كتاب "مؤلفات ابن سينا" ، الذى قامت الإدارة الثقافية للجامعة العربية بنشره . وهو دون نزاع مقدمة ملائمة لما يرجى من إحياء معالم فلسفة ابن سينا ، وأداة نافعة لنشر مؤلفاته .

---

(١) من أمثلة ذلك لجنة سوريا التى عنيت بالدراسات النفسية لابن سينا ، ولجنة طهران التى اضطلعت بنشر مؤلفاته الفارسية .

(٢) بلغ عدد هذه المخطوطات اليوم نحو ١٨٠ ، وهى فى زيادة مطردة (قنواتى ، مؤلفات ، ص ٤١٦ — ٤٢٩) .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣ .

ومساهمة فى هذا الإحياء قررت وزارة المعارف المصرية نشر "كتاب الشفاء" نشرا علميا، وكونت لذلك لجنة خاصة ترسم منهج هذا النشر وتشرف على تنفيذه[1]. وكتاب كهذا يتطلب تحقيق نصوصه ونشره نشرا صحيحا زمنا طويلا وجهودا متصلة؛ وفى تحديد الخطة ورسم الطريقة ما يعين على تحقيق هذه الغاية. وقد خرجت اللجنة من بحثها بمبدأين أساسيين: أولهما ضرورة جمع ما يمكن جمعه من مخطوطات "الشفاء"، والثانى اعتماد نص مختار يقوم على أساس هذه المخطوطات والمفاضلة بينها.

١ — جمع المصادر:

كم تمنينا أن ينشر كتاب "الشفاء"[2]! وما ذاك إلا لأن طبعة طهران التى ظهرت فى أول القرن الهجرى الحالى، سنة ١٣٠٣، معيبة وناقصة، وليست من النشر العلمى فى شىء. معيبة لأنها لا تعتمد على أى تحقيق علمى، وفيها أخطاء لا حصر لها. وناقصة لأنها أهملت إهمالا تاما جملتين من جمل الكتاب الأربع، وهما "المنطق" و"العلم الرياضى" اللذان يزيد حجمهما على

---

(١) صدر هذا القرار فى منتصف سنة ١٩٤٩، وكونت اللجنة من الأساتذة:

١ — الدكتور ابراهيم مدكور.

٢ — الأب جورج شحاته قنواتى.

٣ — الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده.

٤ — الأستاذ محمود الخضيرى.

٥ — الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى — على أن يشرف على توجيه العمل صاحب العزة الدكتور طه حسين بك (صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف اليوم). وضم إلى اللجنة فى قرار لاحق.

٦ — الدكتور محمد يوسف موسى.

٧ — الدكتور عبد الرحمن بدوى.

ثم ضم إليها أخيرا الأستاذ سعيد زايد، على أن يكون عضوا مساعدا.

(٢) Madkour, *L'Organon*, p. 20

نصفه، واقتصرت على الجملتين الأخيرتين وهما " الطبيعيات " و "الإلهيات"، وهذان بدورهما لا يخلوان من نقص . و باسم التحقيق العلمى لا تعدو هـــذه الطبعة أن تعد بمثابة مخطوط فى الجزء الذى تعرضت له ؛ و بين أيدينا مخطوطات أكمل منها وأوضح .

ومخطوطات " الشفاء " المعروفة كثيرة ومتنوعة تصعد إلى نحو المـائة ، منها ما يشتمل على الكتاب جميعه وهو جد قليل لا يتجـاوز العشرة ، والغالبية العظمى تقتصر على جزء منه أو أجزاء[1] . وهى موزعة بين أركان العـالم الأربعة، شرقا وغربا ، فى القاهرة واستانبول وطهران ، أو فى لندن و باريس وليدن و برلين[2] . وكم نود أن تجمع كلها فى صعيد واحد ، بحيث يمكن الحـكم عليها عن درس وروية، لا عن مجرد سماع أو وصف.

ولا شك فى أن تحقيق نص يعتمد اعتمادا كبيرا على وضوح المخطوط الذى يؤخذ عنه ومدى صدقه ، ورب مخطوط واحد يغنى عن كثير . إلا أن هـذا يتطلب مفاضلة وموازنة لا نظن أنه حان وقتها تمـاما ، وكان كل همنا فى البدء أن نجمع ما نستطيع الحصول عليه من مخطوطات " الشفاء " . ولم يكن هذا بالشىء اليسير ، وقد تطلب زمنا غير قصير ، وسنتابعه حتى النهاية . فليس فى الأمر اختيار إذن ، وإنمـا هو اجتهاد ومصادفة فيما سينشر من الأجزاء الأولى على الأقل . ولعلنا نستطيع مستقبلا أن نصفِّى مخطوطات " الشفاء " العديدة ، فنستبعد أضعفها ، أو ما يثبت أنه مكرر منها ، ونحتفظ بأصحها وأقواها ، ونكوّن منها سلسلة نسب واضحة المعالم متصلة الحلقات .

لذلك حرصنا فى مقدمة كل جزء ننشره على أن نحدد المخطوطات التى اعتمدنا عليها ، ونصفها وصفا كاشفا ، ونوازن بينها ، ونحاول ما أمكن أن نبين صلة

---

(١) قنواتى، مؤلفات، ص ٦٩ — ٧٨ .

(٢) المصدر السابق .

بعضها ببعض . ولم نبدأ فى النشر إلا بعد أن توفر لدينا منها عدد يبعث على الثقة ، و يمكن التعويل عليه . ومن بينها ما سيبقى أصلا مشتركا فى الكتاب جميعه ، ومنها ما سيتغير بتغير أجزائه . وناسخو "الشفاء" على نحو ما رأينا متعددون ومتباينون : فمنهم هواة أو محترفون ، ومنهم مجرد نساخ ينقلون ويحاكون ، أو مثقفون يفهمون ما يكتبون و يعلقون عليه و يناقشون [1] . وخطوطهم متفاوتة نوعا وجودة، فمنها النسخى والتعليق، ومنها الجيد والردئ [2] . وفى كل ذلك ما يسمح بالموازنة بين ما كتبوا ورده إلى عصوره المختلفة، لا سيما ولكل عصر كتابته السائدة ، وطريقة فى النسخ ملتزمة غالبا .

ولم نقف عند الأصول العربية ، بل شئنا أن نضم إليها الترجمات الأجنبية القديمة، وليس من بينها ما يعتد به إلا الترجمة اللاتينية ، فاستعنا بها ما وجدنا إلى ذلك سبيلا . وهى فيما يبدو ترجمة حرفية، إلا أن حرفيتها هذه، و إن آذنت بضعف المترجم، تشعر أيضا بحرصه وأمانته [3] . ومهما يكن من أمرها ، فإنها لقربها من عصر ابن سينا قامت على مخطوطات عربية مباشرة، إن لم تكن بخط المؤلف فهى بخط تلاميذه الأول ، ولهذا وزنه وقيمته . وقد عولنا عليها خاصة فيما اقترحته من ألفاظ لاتينية للمصطلحات العربية ، ولعل فى هذا بعض العون على ما نعانيه اليوم من المصطلحات الأجنبية وكيفية تعريبها .

٢ — النص المختار :

قد يلجأ أحيانا إلى مخطوط بعينه، فيتخذ أساسا لنشر مؤلف ما ، ثم يضاف إليه فى الهامش الروايات المغايرة . ولكنا آثرنا فى نشرنا هذا طريقة النص

---

(١) ص (٦٩) .

(٢) ص (٧٠) .

(٣) ص (٧٦) .

المختار ، لما تقوم عليه من تصرف وحرية ، وتسمح به من تفضيل وموازنة . وهى لهذا ولا شك أدق وأعقد ، ولكنها أصح وأنفع . ففى ضوء ما توفر لدينا من مخطوطات حاولنا أن نقدم النص الذى خيل إلينا أنه يفصح عن رأى المؤلف ويؤدى عبارته أداء كاملا .

فاجتهدنا ما وسعنا الاجتهاد ، ورجحنا ما أمكن الترجيح ، وكل ذلك عند الاختلاف والمغايرة . أما ما أجمع عليه النساخ السابقون فقد احترمنا إجماعهم، لا سيما إذا كان المعنى واضحا والتعبير مستقيما . على أنا عند تعدد الروايات لم نرجح لأدنى مناسبة، بل لاحظنا اعتبارات شتى، أهمها : استقامة المعنى وسلامته، وما ألف لدى ابن سينا من ألفاظ وتعبيرات، وما أيدته مؤلفاته الأخرى الثابتة، وأهمية مخطوط على آخر ، بحيث لم نعدل عن المخطوطات الوثيقة إلا لسبب ظاهر وقوى . وبذا آخينا بين المنهج التاريخى والمنهج المقارن ، فاحترمنا النصوص القديمة متى كانت واضحة ومستقيمة، ووازنا وقارنا كلما ساورنا شك أو قلق ، إن فى المعنى أو الأسلوب . وعنينا أن نثبت فى الهامش الروايات المختلفة منسوبة إلى مصادرها . وزيادة فى الإيضاح لم نخلط بهذه الروايات أى شرح أو تعليق، اللهم إلا مجرد الشرح اللغوى الضرورى كى لا نثقل النص ورواياته ، وهى كثيرة ، بإضافات أخرى .

على أن التزام المنهج التاريخى لم يمنعنا من استخدام علامات الترقيم على اختلافها : من شولات ، وشرط ، وأقواس ، ونقط ، وعلامات استفهام وتعجب ، وإن كان هذا لم يؤلف فى الكتابة العربية القديمة. ومن الضرورى أن نحقق وننشر بروح العصر وعلى طريقته، وأى نشر لا ييسر على القارئ مهمته لا يؤدى الغرض المطلوب منه تمام الأداء . وجمل ابن سينا الطويلة التى يكثر فيها اللف والنشر المرتب أو المشوش من أحوج ما يكون إلى علامات الترقيم ، ورب شولة تزيل غموضا ، ونقطة تغير المعنى وتسلك به مسلكا خاصا . ففى استعمال

علامات الترقيم اجتهاد وترجيح قد لا يقل عن ذاك الذى يحتاج إليه فى تفضيل رواية على أخرى .

ولقد أعفانا صاحب "الشفاء" من عبء اقتراح العناوين كلها أو بعضها ، لأن منهجه الدقيق هداه إليها ، فأخذ بها والتزمها كل الالتزام . وحرص النساخ على أن يميزوها من المعنون له بألوان مغايرة[1] . ولم نحد عنـــه فى شىء يذكر من هذا ، اللهم إلا فى إضافات ضئيلة ميزناها من الأصل[2] .

٣ — التعريف بمـا ينشر :

عالج الباحثون قديمـا وحديثا بعض أجزاء "الشفاء" فترجموها وعلقوا عليها ، واستخلصوا منها بعض النظريات . ولكن برغم هذا يمكننا أن نقرر أنه لم ينل بعد ما هو جدير به من بحث ودراسة . وقد آن الأوان لأن يشرح ويبسط ، ويحلل ويناقش ، ويربط ما فيه من آراء بجوه وبيئته أولا ، ثم بحلقات التفكير الإنسانى السابقة واللاحقة ثانيا . ولا شك فى أن نشره نشرا صحيحا من أعون الوسائل على ذلك . ولنا فى ذلك تجربة شخصية لا نتردّد فى أن نسجلها ، فقد سبق لنـا أن عالجنا منطق "الشفاء" على أساس مخطوط واحد ؛ وإنا لنراه اليوم بعد التحقيق والنشر فى سماء أصفى ونهار أوضح[3] .

لهذا حرصنا فى مقدمة كل جزء ننشره أن نعرف به فنلخص موضوعه ، ونبين ما اشتمل عليه من آراء ونظريات أساسية ، وخاصة ما استحدثه ابن سينا أو كان له فيه تجديد واضح . ولا نزعم أنا فى ذلك نستوعب البحث أو نتعمق فى الدراسة ، فلهـذا مقام آخر . وإنمـا نرمى إلى التوجيه والكشف عن أمور

---

(١) ص (٦٩) .

(٢) ابن سينا ، المدخل ، ص ٩ .

(٣) Madkour, *L'Organon*, pp. 19-20.

يقتضى تحقيقها دراسات مستقلة وبحوثا مستفيضة . ولا تسمح مقدمة كهذه أساسها الإجمال والتلخيص بمناقشة المذاهب المتعارضة ومقابلة الآراء المختلفة بعضها ببعض . وإنما عنينا بوجه خاص أن نستكمل النقص فى بعض نقط قد تفوت من لم يلم بتاريخ الثقافة الإسلامية إلماما تاما .

ورأينا أن نضيف إلى المقدمة خاتمة توضح ماورد فى النص من أسماء الأعلام، سواء أكانت لأشخاص أم لكتب وأماكن . وأسماء الأعلام فى العربية كثيرة ومتشعبة ، ذلك لأن لكل فرقة رجالها ، ولكل مذهب أئمته ، لافرق فى هذا بين الساسة والعلماء، ولا بين السلف والخلف ، ولا بين أهل السلوك وأصحاب الاعتقاد ، ولا بين المقلدين والمجتهدين. ولهذا كثيرا ما يضل الباحث بين هؤلاء الأعلام، على الرغم مما اشتملت عليه العربية من كتب الطبقات وتاريخ الرجال.

وشئنا أيضا أن نشير فى هذه الخاتمة إلى بعض النصوص التى كانت لها قيمة تاريخية خاصة، فنردّها إلى أصولها ، ونكشف عن شىء من آثارها. والبحث عن أصل نص فى المؤلفات العربية ليس من الأمور الهينة ، ما دام المؤلف لا يحيل على مصدر، ولا يعلن عن المعين الذى استقى منه، لهذا قصرنا ملاحظاتنا على النصوص البارزة ، خشية أن نسرف فى الفروض والاحتمالات .

ورغبنا أخيرا فى أن نستخلص من كل جزء ما جاء فيه من مصطلحات علمية، معنيين بأهمها وأبرزها . وحاولنا أن نضيف إليها مقابلها الأجنبى مستعينين ما أمكن بالترجمة اللاتينية . والمصطلح العلمى لم يصل إلى ابن سينا إلا وقد استقر وتأكد ، بعد أن قضى نحو قرنين فى شىء من القلق والتردّد ، ولم يطرأ عليه بعده تغيير ذو بال . ففى إحياء مصطلحاته إحياء لتراث له شأنه . على أننا نرجو أن يكون لهذا الإحياء أثر علمى ، فيساهم بنصيب فى بعض ما نعانى من مشكلة المصطلحات العربية .

يونيه ١٩٥١

مقدمة المدخل

للدكتور ابراهيم مدكور

درج مناطقة العرب على أن يقسموا المنطق إلى تسعة أقسام متدرجة ومتلاحقة ، وهى : إيساغوجى أو المدخل الذى يبحث فى بعض الألفاظ الدالة على المعانى الكلية . وقاطيغورياس أو المقولات الذى يحصر عدد المعانى الكلية العليا المشتملة على جميع الموجودات . و بارى إرمنياس أو العبارة الذى يبين كيفية تركيب المعانى إيجابا أو سلبا ، بحيث تصبح قضية وخبرا محتملا للصدق والكذب . وأنالوطيقا الأولى أو التحليلات الأولى الذى يعرض لتأليف القضايا ، بحيث يتكون منها قياس يفيد علما بمجهول . وأنالوطيقا الثانية أو التحليلات الثانية الذى تمتحن فيه شرائط القياس ، بحيث يصير برهانا ويكتسب به يقين لا شك فيه . وطوبيقا أو الجدل الذى يشتمل على الأقيسة النافعة فى مخاطبة من قصر فهمه عن إدراك البرهان وقنع بالمحاورات الجدلية . وسوفسطيقا أو السفسطة الذى يحصى جميع المغالطات التى تحدث فى العلوم والأقاويل عامة. وريطوريقا أو الخطابة الذى يوضح الأقيسة البلاغية الصالحة لمخاطبة الجماهير مدحا أو ذما ، اعتذارا أو عتبا . وبويطيقا أو الشعر الذى يشرح القياس الشعرى ، وما ينبغى أن يتوفر فيه ، بحيث يكون أجود وأفخم وألذ وأمتع[1] . وكلها لأرسطو ما عدا إيساغوجى فإنه لفرفوريوس ، وقد

---

(1) ابن سينا ، تسع رسائل فى الحكمة والطبيعة ، القاهرة ، ١٩٠٨ ، ص ١١٦ — ١١٨ ؛ الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، طبعة القاهرة ، ص ٨٤ — ٩٢ .

وضعه ليكون مدخلا لقاطيغورياس أو للمنطق جميعه [١] . ولم يلبث أن أخذعنه وأضيف إلى كتب أرسطو وجعل جزءا منها وسار مسار الشمس [٢] .

"إيساغوجى" عندهم إذن جزء من المنطق، أو بعبارة أدق، من تلك المجموعة المنطقية التى تسمى "الأرجانون". ويشهد لهذا ما نراه فى ذلك المخطوط التاريخى العظيم الذى احتفظت به مكتبة باريس الأهلية ، ففيه نجد ترجمة أجزاء المنطق التسعة العربية مجموعة كلها تحت اسم "الأرجانون"، وفى مقدمتها "إيساغوجى" [٣] . وعلى هـذا النحو سار ابن سينا فى " الشفاء " ، فعرض لهذه الأقسام قسما قسما منذ البـدء حتى النهاية [٤] . وللفارابى محاولة قوية ودقيقة ترمى إلى حصر أقسام المنطق وربط بعضها ببعض ، وبيـان لزوم كل قسم منها ، ويقف بها عند ثمانية فقط مستبعدا "إيساغوجى" [٥] . ولكنه فى مقام آخر عده مدخلا للمنطق، وعنى بشرحه والتعليق عليه [٦] . وابن رشد الحريص على تعاليم المعلم الأول لم ير غضاضة فى أن يضم " إيساغوجى " إلى كتبه المنطقية [٧] .

---

(١) يميل مؤرخو العرب إلى اعتبار "إيساغوجى" مدخلا للمنطق جميعـه ، لا للمقولات وحدها (ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥٤ ؛ القفطى ، تاريخ الحكماء، ص ٢٥٧) . ويذهب بعضهم خطأ إلى القول بأنه حل محل "إيساغوجى" آخر وضعه أرسطو نفسه ، وقد فقد (الأنصارى ، إرشاد القاصد ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ٣٣) .

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٥٧ .

(٣) Manuscrit arabe No. 2364 (882a anc.-fonds) .
بدأ الدكتور بدوى فى نشر هذا المخطوط منذ ثلاث سنوات ، وأخرج منه جزءين : أولها عام ١٩٤٨ ، ويشتمل على المقولات ، والعبارة ، والتحليلات الأولى ؛ والثانى عام ١٩٤٩ ، ويشتمل على التحليلات الثانية ، وطوبيقا ؛ وهو يتابع الأجزاء الباقية . ولم تكن مهمته ميسرة ، لأنه اعتمد على مخطوط واحد وفيه خروم كثيرة ، ولهذا لم يخل نشره من نقد وملاحظة .

(٤) قنواتى ، مؤلفات ابن سينا ، ص ١٤ — ٤٣ .

(٥) الفارابى ، إحصاء العلوم ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٦٣ — ٧٢ .

(٦) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ .

(٧) Ibn Rochd., *Il Comento medio* éd. Lasino Pisa, 1872, p. 2-6; Prantl, *Geschichte der Logik,* Leipzig, 1855-1870, t. II, p. 376.

ولا نزاع أن فى المنطق الأرسطى وحدة وانسجاما ،ولكن لم يثبت أن أرسطو رتب كتبه المنطقية على النحو الذى أريد بها ، ذلك لأنه فيما يبدو لم يؤلفها تباعا على حسب هذا الترتيب،ولئن أشار بعضها إلى بعض فإن من بينها ما لا يعرض للأخرى بوجه ما[1] . ولم تنشر فى حياة مؤلفها نشرا التزم فيه ترتيب معين ، وكل ما حدث أنها كانت تتبادل متفرقة فى اللوقيون بين التلاميذ والأتباع[2] .

والواقع أن هذا الربط والترتيب من صنع شراح أرسطو المتأخرين ، بدأ به الإسكندر الأفروديسى على صورة مختصرة[3] . وانتقل منه إلى شراح مدرسة الإسكندرية الذين توسعوا فيه وأتموه ، وعلى رأسهم سمبليقيوس وأمونيوس[4] . فهم الذين عدُّوا الخطابة والشعر جزءا من المنطق الأرسطى ، بينما كان الإسكندر الأفروديسى يعارض فى ذلك[5] . ولم يتردّد أمونيوس فى أن يعد "إيساغوجى" جزءا من مجموعة "الأرجانون"[6] . فمناطقة العرب لم ينشئوا فى هذا جديدا ؛ وإنما حاكوا سابقيهم ، وخاصة رجال مدرسة الإسكندرية ، وعهدهم بهم غير بعيد .

وربط "إيساغوجى" بالمنطق الأرسطى مقبول وواضح ، أما عدُّ الخطابة والشعر جزءا منه فهذا ما لا يمكن التسليم به فى يسر . حقا إن قياس أرسطو منهج عام قابل للتطبيق على حد سواء فى البرهنة العلمية ، والمناقشة الجدلية ، والحجج الخطابية ، والشعر باب من أبواب الخطابة . فهناك أقيسة علمية ، وأخرى جدلية ، وثالثة

---

(١) Franck, *Esquisse d'une histoire de la logique*, Paris, 1855, p. 21; Madkour, *L'Organon* p. 12.

(٢) Hamelin, *Le système d'Aristote*, Paris, 1931, p. 57.

(٣) Barthélemy, *De la logigue d'Aristote*, Paris 1938. t. I, p. 130.

(٤) Ibid., t. I, p. 31.

(٥) **Dufour**, Aristote, *Rhétouque*, col. Budé, Paris.

(٦) **Barthélémy**, *op. cit.*, p. 130; Walzer, *Zur Traditions Geschichte der aristotelische Poetik* dans *Studi Italiani* 1934, p. 10-11.

خطابية شعرية[١] . ولكن الخطابة والمنطق يختلفان عند أرسطو غاية وموضوعا ، فبينما الأولى تعتمد على احتمالات وأمور شائعة وتهدف إلى منفعة اجتماعية ، إذا بالثانى يبحث عن اليقين ويعتمد على الحقائق المطلقة الضرورية [٢] . وإذا كان للخطابة والشعر شعبة تنضمان إليها ، فما أجدرهما أن يربطا بعلوم اللسان واللغة ، أو بعلوم الاجتماع والأخلاق على نحو ما ذهب إليه تسيلر[٣] . على أن العرب أنفسهم لم يلبثوا أن فصلوا هذين القسمين عن المنطق ، وجاءت كتبهم المنطقية المختصرة خلوا منهما[٤] .

ومهما يكن من أمر هذا الخلط فإنا مضطرون — ونحن نحقق نصا — أن نسير مع المؤلف أينما سار ، وأن نلتزم الترتيب الذى اصطنعه . وسننشر كل جزء من أجزاء منطقه فى مجلد خاص ، تقسيما للعمل وتيسيرا على القارئ . ويعنينا هنا أن نبين منزلة "إيساغوجى" فى العالم العربى ، وإلى أى مدى أثر فى مدخل ابن سينا ، ثم نعرض للمخطوطات التى قام عليها النص الذى حققناه .

(ا) إيساغوجى وأثره فى العالم العربى

افتتح فرفوريوس فى القرن الثالث الميلادى عهد مشائية جديدة عمرت نحو ثلاثة قرون ، وتعهدها من بعده رجال مدرسة الإسكندرية دون استثناء[٥] . إلا أنها كانت مشائية موفقة تجمع بين أفلاطون وأرسطو ، وتضم المدارس

---

(١) الفارابى ، إحصاء العلوم ، ص ٦٣ — ٧٠ .

(٢) Dufour, *op. cit.* t. p. 13.

(٣) Zeller, *Die Philos. der Griechen*...Zweiter Teil, Zweite Abteilung, Berlin, 1879, p. 108.

(٤) انظر مثلا منطق "الإشارات" لابن سينا ، أو "معيار العلم" للغزالى أو "البصائر النصيرية" للساوى .

(٥) Ravaisson, *Essai sur la Mét. d'Aristote*, Paris, 1846, II, 540; Renan, *Averroès*, p. 93.

اليونانية بعضها إلى بعض[١] . وهى بهذا أقرب إلى مفكرى الإسلام روحا ، فضلا عن أنها ألصق بهم زمنا . وتأكيدا لهذا التوفيق حرص فرفوريوس على أن يشرح أرسطو ، فى الوقت الذى شرح فيه بعض المحاورات الأفلاطونية الكبرى[٢] . ومن الغريب أن العالم العربى لم يقف على أى شرح من شروحه لمؤلفات أفلاطون ، فى حين أنه عرف شروحه لأرسطو ، وعده بين تلاميذه الذين يحسنون التعبير عن آرائه[٣] . وإذا كانت شروحه الأرسطية لم تترجم كلها إلى العربية ، فإنها كانت موجودة بالسريانية ، وهذه كانت لغة علم وثقافة فى الأوساط الإسلامية فترة من الزمن إلى جانب العربية[٤] .

ولقد عرف العرب أيضا فرفوريوس المؤرخ والمؤلف ، فنقلوا عن تاريخه للفلاسفة قطعا شتى[٥] . وعنوا خاصة بمؤلفه المشهور ، " إيساغوجى " ، الذى نال فى القرون الوسطى عامة حظا كبيرا[٦] . فترجم إلى اللاتينية منذ القرن الخامس الميلادى ، وفى التاريخ نفسه تقريبا ترجم إلى السريانية ، وعن هذه

---

(١) Porphyre, *Vie de Plotin*, tr. Bréher, col. Budé, I,p.15; Vacherot, *Hist, crit.de l'école d'Alex.*, Paris, 1946, II, 432.

(٢) Picavet, *Porphyre*, dans la *Grand Encyc.*; Bréhier, *Hist. de la philos*, Paris., 1928, t,I,p. 432.

(٣) الشهرستانى ، ملل ج ٣ ، ص ٥٣ — ٥٤ ، ٨٨ — ٩٣ ؛ القفطى تاريخ الحكماء ، ص ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .

(٥) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ١ ، ص ٣٨ ، ٤٢ .

(٦) Bidez, *Vie de Porphyre*, Gand, 1913, p. 59.

يظهر أن العرب وقفوا على أن فرفوريوس لم يضع هذا الكتاب إلا بناء على طلب وجه إليه ، ورغبة فى تيسير كلام أرسطو (القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ؛ Bidez, *op. cit.* p. 58-59.

نقل إلى العربية بعد ذلك بنحو قرنين[1] . ولعله من أول المترجمات المنطقية والفلسفية[2] . ويظهر أن العرب لم يقنعوا بهذه الترجمة الأولى ، فأعادوا ترجمته مرة أخرى[3] . وترجموا معه بعض شروحه السابقة ، كما اضطلعوا هم أنفسهم بشرحه وتلخيصه[4] .

وإذا كان فرفوريوس قد شاء فى كتابه هذا أن يشرح فقط خمسة ألفاظ يكثر ورودها فى "الأرجانون" ، وهى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض ، فإنه رسم بشرحه هذا للمدرسيين منهجا صادف هوى من نفوسهم ، قدر له أن يحيا عدة قرون . فصنف هذه الألفاظ ورتبها ، ووازن بعضها ببعض مستمدا مادته كلها تقريبا من أرسطو . وعلى هذا درج المدرسيون غالبا فى بحثهم وتأليفهم ، فعنوا خاصة بالمناقشات اللفظية ، وتفننوا فى التقسيم والتبويب ، وبذا وضع "فرفوريوس" الحجر الأول فى بناء الفلسفة العربية والفلسفة المدرسية[5] .

---

(١) *Bréhier, Hist. de la philos. t. p. 529; Baumstark, Aristoteles bei den Syrern von V bis VIII jahrhundert*, Leipzig, 1900, p. 130 et suiv.

هنا نجد تاريخ "إيساغوجى" فى السريانية مفصلا

Kraus, *Zu Ibn al-Muqaffa'*, dans *Riv. d. St. Or.* XIV, 1923 p. 1-20

(٢) Madkour, *L'Organon*, p. 31-32.

(٣) الأرجانون (مخطوط باريس) نهاية إيساغوجى ، حيث قيل : «نقل أبى عثمان الدمشقى ، وقوبل بنسخة مقروءة على يحيى بن عدى ، فكان موافقا» .

(٤) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ ، ٣٢٣ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، جـ ، ص ١٠٥ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ . وقد عرف العرب من شروح إيساغوجى القديمة شرحى أمونيوس ويحيى النحوى ، أما شراحه منهم قبل ابن سينا فكثيرون ؛ وأهمهم أبو بشر متى بن يونس ، وأبو نصر الفارابى ، واختصره حنين بن إسحق والكندى .

(٥) Renan, *Averr.*, p. 92.

ومن الناحية المنهجية استولت فكرة المدخل أيضا على كثيرين من مؤلفى الإسلام ، وخاصة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ، فرأوا ضرورة التمهيد للدراسات المفصلة ببحوث مختصرة تقدم لها ، وتيسر أمرها[1] . وألفوا مداخل لبعض العلوم كالفلك والرياضة والطب والكيمياء والطبيعة ، أو لبعض الأشخاص والمدارس ، ووصلتنا نماذج منها[2] . استن هذه السنة جماعة السريان ، من نساطرة ويعاقبة ، الذين اضطلعوا بعبء الترجمة العربية الأكبر ، وحاكاهم فيها فريق من المؤلفين المسلمين فيما بعد . وربما كانت هذه المداخل أول ضوء ألقى فى أفق الدراسات العقلية فى الإسلام . وبذا طغت كلمة " مدخل " العربية على كلمة " إيساغوجى " اليونانية الأصل ، وحلت محلها فترة طويلة من الزمن . ولكنا رأينا الأخيرة تعود إلى الظهور وإن تكن فى ثوب آخر ، فقد تخيرها مؤلف عربى فى القرن الثالث عشر الميلادى اسما لمختصر فى المنطق قدر له أن يتدارس إلى اليوم[3] .

ومن الناحية الموضوعية لم يكن أثر " إيساغوجى " بأقل من أثره المنهجى ، فقد وضع دعائم نظرية الكليات الخمس التى تعد بابا هاما من أبواب المنطق العربى . حقا إن إخوان الصفاء شاءوا أن يضيفوا إلى ألفاظ فرفوريوس لفظا سادسا هو الشخص ، ظنوا أنه فى حاجة إلى الشرح بدرجة لا تقل عن ألفاظ " إيساغوجى "[4] . ولكنهم بهذا خرجوا بنظرية المؤلف عن أساسها ، وعدوا الأمر مجرد توضيح لفظى ، مع أن فرفوريوس ، وإن عنى بهذا التوضيح ، كان يرمى أولا وبالذات إلى حصر الكليات تحت صنوف معينة . لهذا لم يجاوز

---

(١) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ١١٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٦٩ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، جـ ١ ، ص ١٩٨ .

(٢) الفارابى ، الثمرة المرضية ، ليدن ، ١٨٩٢ ، ص ٤٩ وما بعدها ؛ Madkour, *L'Organon*, p. 71.

(٣) الأبهرى ، إيساغوجى ، القاهرة ، ١٩١٦ .

(٤) إخوان الصفاء ، رسائل ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، جـ ١ ، ص ٣١٣ .

اقتراح الإخوان دائرة " رسائلهم " . وفيما وراء ذلك بقيت تعريفات " إيساغوجى " ومقارنته للكليات بعضها ببعض مرعية فى جملتها . و"مدخل" ابن سينا الذى نحن بصدده أكبر شاهد على ذلك . ولقد وصل الأمر بالكندى أن قال : إن " إيساغوجى " هو الكتاب الذى ينبغى أن يبدأ به طلاب الفلسفة جميعا ، لما فيه من وضوح وجلاء[1] .

(ب) مدخل ابن سينا

تلقى ابن سينا "إيساغوجى" ومعه شروحه الحديثة والقديمة، العربية والمعربة، فتأثرها جميعا وأخذ عنها . وبذا نخطئ إن زعمنا أن مدخله ليس شيئا آخر سوى "إيساغوجى"، فإنه وإن حاكاه أضاف إليه أبوابا لم يعرض لها فرفوريوس أو توسع فيما اكتفى بالإشارة إليه . فتحدث مثلا عن حقيقة المنطق وصلته بالعلوم الأخرى ، وعن موضوعه ومنفعته ، وعن الفكر واللغة ، وعقد فصلا للوجود الثلاثى للكليات ، فقسم الجنس إلى طبيعى ، وعقلى ، ومنطقى ، وهذا ألصق ما يكون بنظرية المعرفة[2] . وبذا أضحى مدخله مقدمة حقيقية للمنطق جميعه ، بدل أن يكون مقدمة للمقولات فقط .

وفوق هذا فى شرحه للألفاظ الخمسة يعرض مادة أغزر كثيرا مما نجد فى " إيساغوجى "، وإن لم يكن فيها جديد يعتد به ، اللهم إلا أن يحاول ربط نظرية الكليات بنظرية التعريف ربطا وثيقا . فيلاحظ أن النظرية الأولى تخدم الثانية من ناحيتين ، فهى تعد لها وسائل التعريف ، إذ أن الحد الحقيقى إنما يتم بالجنس والفصل القريب[3] . وتعريف الكليات الخمس واحدا واحدا

---

(١) Périer, *Yaḥya ben ʿAdi*, Paris, 1920, p. 96 en bas.

(٢) ص (٦٢) .

(٣) ابن سينا ، المدخل ، ص ٤٨

فرصة مواتيــة لتطبيق نظرية الحد أوسع تطبيق[١] . لهـذا لم يكن غريبا أن يعيب ابن سينا على فرفوريوس بعض تعريفاته الناقصة ، التى حاول فيها أن يعرف الشيء بما هو أغمض منه ، «وتعريف المجهول بالمجهول ليس بتعريف ولا بيـان »[٢] . وباختصار يمكننا أن نقول إن مدخل ابن سينا دراسة واسعة لنظرية التعريف الأرسطية ، بقدر ما هو شرح للكليات الخمس ، ولم يغب عنه ربط هـذه الكليات بنظرية التعريف التى بينها أرسطو فى التحليلات الثانية[٣] .

١ — المنطق والعلوم الأخرى :

شجر خلاف قديم حول طبيعة المنطق وصلته بالفلسفة . ومنشؤه أن أرسطو لم يحتفظ له بمكان فى قسمته السداسية المشهورة للعـلوم الفلسفية ، فى حين أن الرواقيين اعتبروه صراحة جزءا من الفلسفة. فلم يكن بد من أن يدافع الإسكندر الأفروديسى — وهو المشائى المخلص — عن وجهة نظر أستاذه ، ويبين أن المنطق حقيقة ليس جزءا من الفلسفة ، بل هو مجرد آلة لها ، ومن هنا أطلقت كلمة أرجانون ὄργανον اليونانية على المنطق جميعه[٤] . الأمر الذى لم يقل به أرسطو ، وإن كان قد مهد له ، ذلك لأنه كان يعد منطقه أشبه ما يكون بمنهج عام وثقافة أولية ينبغى تحصيلها قبل البدء فى العلوم الأخرى[٥] .

ومنذ القرن الثالث الميلادى ، وهـذه النقطة من مشا كل المنطق الأولى ، فليس ثمة كتاب من الكتب المنطقية إلا ويتساءل فى أوله عما إذا كان المنطق

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٤) Barthélemy, *De la logique d'Aristote* I., 13.

(٥) Franck, *Esquisse*, p. 20; Hamelin, *Le système d'Aristote*, p. 87-88; Ross, *Aristotle*, London, 1930, p. 36.

علما أو فنا ، جزءا من الفلسفة أو مقدمة لها . وكان طبيعيا أن تنتقل خصومة المشائين والرواقيين إلى العالم العربى ، عن طريق شراح أرسطو ومؤرخى فلسفته ، وقد شغل بها مناطقة العرب ، وقدموا لها حلولا متحدة أو متشابهة .

وابن سينا ، وإن كان لايجد تحتها طائلا ، يعقد لها فصلا طويلا فى مدخله ، ويعالجها فى بسط وإسهاب[1] . وقد لمس منشأ الخلاف الحقيقى بين المشائين والرواقيين ، فبدأ بتحديد المعنى المراد من الفلسفة ،وفى ضوء هذا التحديد يمكن الحكم على المنطق هل هو جزء منها أو مقدمة لها ؟ ولقد بذل جهدا عنيفا فى إثبات أن الدراسات الفلسفية لا يمكن إلا أن تكون نظرية وعملية ، لأنها إما أن تنصب على الوجود الذهنى أو الوجود الخارجى ؛ وأن النظرية لا يمكن إلا أن تكون طبيعة ، ورياضة محضة ، وعلما إلهيا ؛ وأن العملية لا يمكن إلا أن تكون سياسة ،وتدبير منزل ، وأخلاقا[2] . ومع هذا ينتهى إلى القول بأنه يمكن أيضا أن يعتبر كل بحث نظرى فلسفة ، سواء اتصل بأحد الوجودين السابقين أو بهما معا ، أو أعان على فهمهما[3] .

وإذن فالمنطق صالح لأن يكون آلة للفلسفة أو جزءا منها . «فمن تكون الفلسفة عنده متناولة للبحث عن الأشياء ،من حيث هى موجودة ، منقسمة إلى الوجودين المذكورين ، فلا يكون هذا العلم عنده جزءا من الفلسفة ، ومن حيث هو نافع فى ذلك فيكون عنده آلة فى الفلسفة . ومن تكون الفلسفة عنده متناولة لكل بحث نظرى ومن كل وجه ، يكون أيضا هذا عنده جزءا من الفلسفة ، وآلة لسائر أجزاء الفلسفة»[4] . توفيق يخفف كثيرا من حدة الخصومة بين المشائين

---

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ١٢ — ١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢ — ١٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥ — ١٦ .

والرواقيين ، ولا ندهش له من موفق كابن سينا . على أنه لايتردّد فى أن يعلن أن «المشاجرات التى تجرى فى مثل هذه المسألة فهى من الباطل ومن الفضول : أما من الباطل فلأنه لا تناقض بين القولين ، فإن كل واحد منهما يعنى بالفلسفة معنى آخر ، وأما من الفضول فإن الشغل بأمثال هــذه الأشياء ليس ممـا يجدى نفعا »[١] .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف وفضه ، فإن ابن سينا يرى أن المنطق ذو طابع نظرى وعملى فى آن واحد ، فهو علم لمـا يشتمل عليه من قوانين وقواعد ودراسات نظرية ، وآلة توصل إلى استخلاص المجهول من العــلوم[٢] . أو بعبارة أخرى هو علم آلى ، كما يسميه أحيانا[٣] . وهذا ما استقر عليه تقريبا رأى كبار فلاسـفة الإسلام . فالفارابى يقول إن القوانين المنطقية تمتحن بهـا المعقولات ، كما تقاس الأجسام بالموازين والمكاييل[٤] . والغزالى يسمى المنطق تارة علم الآلة وأخرى علم الميزان[٥] . وابن رشد ، على نحو شبيه بابن سينا ، يعده بين الصنائع المعينة والمسددة فى الدراسات الفلسفية[٦] . ولسنا فى حاجة أن نشير إلى أن لفظ " الآلة " العربى وليـد لفظ الـ ὄργανον اليونانى ، كما تولدت عنه ألفاظ أخرى بنفس المعنى فى اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة[٧] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ص ٨ .

(٤) الفارابى ، إحصاء العلوم ، ص ٥٤ .

(٥) الغزالى ، معيار العلم ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ١٢ .

(٦) ابن رشد ، ما بعد الطبيعة ، طبعة القاهرة ، ص ٢ .

(٧) نكتفى بأن نشير إلى :

(*a*) Novum organum de Bacon.

(*b*) L'art de penser de Port-Royal.

٢ — موضوعه ومنفعته :

العلم ضربان : تصوّر يراد به إدراك المفرد كما يتصوّر الإنسان أو الحساس، وتصديق يراد به إدراك النسبة فيضم مفردان أحدهما إلى الآخر، وتعقد بينهما صلة تحتمل الصدق أو الكذب، مثل قولنا : الإنسان حساس . وواضح أن كل تصديق يقتضى تصوّرا، ولا عكس[١] . هذان فى رأى ابن سينا هما بابا المعرفة العادية الوحيدان ، بعد الفطرة والبديهة التى هى فى الحقيقة قليلة المعونة ، لأن العلم فى أغلبه مكتسب لا فطرى[٢]. وندع جانبا المعرفة ، القائمة على الكشف والإلهام ، لأنها مقصورة على فريق قليل من الناس مؤيد بعون من الله[٣] .

وما أشبه تصوّره بالإدراك الحسى فى علم النفس الحديث ، وتصديقه بالحكم وإن كان حكمه يقتضى ضربا من الجزم والاعتقاد على نحو ما يرى اسبينوزا وتين[٤]. ذلك لأنه حكم يقوم على تفكير وروية، أو بعبارة أخرى هو حكم منطقى ، لا مجرد ربط بين طرفين كما يحدث فى أحكامنا الدارجة التى لا حصر لها . ومن هنا اختلط الحكم لديه بالاستدلال ، فتصديقه يشمل الأمرين معا . ونحن لا ننكر أن الاستدلال حكم مركب، ولكنهما سيكلوجيا عمليتان عقليتان متميزتان .

ومهما يكن من أمر هذا الخلط المألوف فى الدراسات السيكلوجية القديمة ، فإن ابن سينا يجد فى التصوّر والتصديق الدعامة الأولى للمنطق ، فعليهما تعتمد النظريات المنطقية المختلفة ، وليس ثمة منطق إلا وله أساس من علم النفس . فتصوّراتنا وتصديقاتنا تخطئ وتصيب ، ولا بد من وضع قواعد لكل منها .

---

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ — ١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٤) Delacroix, *Traité de Psychologie*, Paris, 1924, t. II. p. 146.

وجماع قواعد التصوّر نظرية القول الشارح أو التعريف ، ومن التعريف ما هو حد أو رسم ، أو مثال ، أو علامة ، أو اسم . وجماع قواعد التصديق نظرية الحجة ، ومن الحجج ما هو قياس ، أو استقراء ، أو تمثيل ، أو غير ذلك[١] .

فموضوع المنطق إذن نظريتان أساسيتان ، تعريف يوصلنا إلى تصوّرات صحيحة ، وإدراك للمعانى على وجهها ؛ وبرهنة ترسم لنا وسائل التصديق وتميز بين الصواب والخطأ . وما عدا هاتين النظريتين من بحوث منطقية ، إنما هو إعداد وتفريع لهما . والتقابل بينهما عند ابن سينا واضح إلى حد أن ڤاتييه مترجم منطق "النجاة" فى القرن السابع عشر اقترح أن يقسم هذا المنطق إلى بابين : التعريف والقياس[٢] . ولا شك فى أن هذا التقابل هو الذى حمل الغزالى أيضا فى أحد كتبه على أن يحصر المنطق فى هذين البابين[٣] .

ولقد عرض أرسطو فى منطقه للقياس والتعريف ، ولكن الأول كان هدفه الرئيسى بل والوحيد. ولم يذكر التعريف إلا عرضا ، فتحدث عنه فى "التحليلات الثانية" ليميزه من البرهان ، وفى "طوبيقا" ليتم به المناقشات الجدلية[٤] . أما مناطقة العرب ، وابن سينا خاصة ، فقد عنوا بالتعريف عناية كبيرة ، وأدركوا — على نحو يقربهم من المحدثين — ماله من أثر منهجى فى البحث العلمى ، لذلك حرصوا على أن يجمعوا طوائف من التعريفات العلمية المقررة ، إيمانا منهم بأنها مفاتيح العلوم ومبادئها[٥] . وفى العربية عدد غير قليل من كتب التعريفات

---

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ١٨ .

(٢) Vattier, *La logique du Fils de Sina*, Paris, 1659, p. 1-2.

(٣) الغزالى ، محك النظر ، طبعة القاهرة ، ص ٤ — ٦ .

(٤) Franck, *Esquisse*, p. 120; Hamelin, *Le Système d'Aristote*, p. 96.

(٥) نذكر من بين هذا على سبيل المثال "رسالة فى الحدود والرسوم" لإخوان الصفاء (رسائل ج ٢ ، ص ٣٥٩ — ٣٧٠) ؛ و "رسالة الحدود" لابن سينا (تسع رسائل ، ص ٧٢ — ١٠٢) ؛ وتعريفات كثيرة للغزالى فى كتابه "معيار العلم" (ص ١٨٢ — ١٩٨) و "محك النظر" (ص ١٠٧ — ١٣٣) .

والمصطلحات ، "كمفاتيح العلوم" للخوارزمى ، و "التعريفات" للجرجانى ، و"كشاف اصطلاحات العلوم" للتهانوى .

نستطيع أن نقرر أن التفرقة بين التصوّر والتصديق نقطة بدء ثابتة فى كتب المنطق العربية على اختلافها . نراها لأول مرة عند الفارابى ، ثم تمتد من بعده إلى اليوم [١] . وقد توسع فيها المناطقة المتأخرون إلى حد الإسراف أحيانا ، فأحاطوها بمناقشات لفظية عقيمة ، واختلفوا مثلا فى حصر عدد التصوّرات التى يشتمل عليها تصديق واحد [٢] .

ويزعم "نللينو" أن فكرة التصوّر والتصديق مستمدة من الفلسفة الإشراقية ، إلا أنهما فى تاريخهما وموضوعهما يبعدان عن ذلك كل البعد ، فهما أسبق وجودا من الفلسفة الإشراقية الإسلامية ، وهدفهما منطقى وهذا مالا يعنى كثيرا فلسفات الإشراق بوجه عام [٣] . ولنا أن نعقد صلة بينهما وبين ماذهب إليه أرسطو من قسمة المعرفة إلى حدسية وعقلية [٤] . ولكنا نرجح أنهما صدى لصورة من صور ذلك التقابل الذى ولع به الرواقيون ، ونعنى بها تقابل الـ φαντασία والـ συγκαταθεσίς [٥] . وهذا مظهر من مظاهر سريان الأفكار الرواقية إلى المنطق الأرسطى ، وتآخيها معه وامتزاجها به بحيث أصبحت قطعة منه .

---

(١) الفارابى ، مبادئ الفلسفة القديمة ، القاهرة ، ١٩١٠ ؛ عيون المسائل ، ص ٢ — ٣ .

(٢) الباجورى ، حاشية على متن السلم ، القاهرة ، ١٣١٦ هـ ، ص ٢٥ .

(٣) Nallino, *Riv. d. St. Or., X*, 1925, 433-467.

(٤) Aristote, *Dern. Anal.* L. l., ch. l., 5; Madkour, *L'Organon*, p. 54-55.

(٥) Kraus, *Abstracta Islamica*, 1936, p. 220.

ومما يلفت النظر أن الدعامة السيكلوجية التى تخيرها العرب أساسا لنظرياتهم المنطقية تذكرنا — من بعض النواحى — بدعامة أخرى مشابهة قال بها بويس ، وملخصها أن المنطق يعتمد على ثلاث عمليات عقلية ، وهى الإدراك ، والحكم ، والاستدلال[١] . وجاء مناطقة بور رويال فأضافوا إليها ، متأثرين بديكارت ، دعامة رابعة تصوب إلى المنهج ، وهى الترتيب[٢] .

وفى ضـوء موضوع المنطق نستطيع أن نبين منفعته ، فهو الذى يعصمنا من الخطأ فى إدراك المعانى وتصوّرها تصوّرا صحيحا ، بمـا يقدم لنا من قواعد الحـد الحقيق ، والتفرقة بين الذاتى والعرضى ، وبين ما يقوِّم المـاهية ومالا يقوِّمها . ويعصمنا أيضا من الخطأ فى التصديق والانتهـاء إلى أحكام ونتائج باطلة أو غير مسلمة ، فيرسم لنـا طرائق البرهان الموصل إلى اليقين ، ويحذرنا من السفسطة التى تؤدى إلى الغلط أو المغالطة[٣] .

وقد يتفق للإنسان بفطرته أن يهتدى إلى حد حقيق موجب لتصوّر صحيح ، أو إلى حجة مقنعة تؤدى إلى تصديق حق ، إلا أن الفطرة لا يؤمن غلطهـا ، وإن أصابت فما أشبههـا برمية من غير رام . ولو قلنا بها وحدها لألغينا العلم والصناعات كلها ، على أنها لو كانت كافية ما تعدّدت المذاهب ، وما اختلف الناس فيما بينهم ، بل وما ناقض الإنسان نفسه[٤] .

---

(١) Janet et Séailles, *Hist. de la philos.*, Paris, 1928, p. 496: Ces trois opérations sont : concevoir, juger et raisonner.

(٢) Arnaud, *La Logique de Port Royal*, Paris, 1877, p. 27: Ces quatre actes principaux de l'esprit sont : concevoir, juger, raisonner et ordonner.

(٣) ابن سينا ، المدخل ، ص ١٨ — ١٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٩ .

وليس معنى هذا أن تعلم المنطق يعصم حتما من الخطأ ، فكم من مناطقة يخطئون. ولكن كثيرا ما يرجع خطؤهم إلى أنهم لم يستوفوا صناعتهم، أو لم يلتزموها فى بعض المواضع وعولوا على الفطرة، أو لم يحسنوا استخدامها. ومهما يكن فخطأ صاحب العلم والصناعة أقل بكثير من المحروم منهما. ونسبة المنطق إلى الروية الباطنة التى تسمى النطق الداخلى ، كنسبة النحو إلى العبارة الظاهرة التى تسمى النطق الخارجى ، أو كنسبة العروض إلى الشعر (١) . وقد تغنى الفطرة البدوية عن النحو ، كما تغنى القريحة الشعرية عن العروض (٢) . أما صناعة المنطق فلا غنى عنها لمن يحاول اكتساب العلم بالنظر والروية (٣) .

قد لا يستساغ اليوم كثيرا ذلك الإسهاب فى بيان فوائد المنطق ومنفعته ، إلا أنه كان طبيعيا وضروريا فى عصر ابن سينا . كان طبيعيا لأن البحث فى ثمرة كل علم جزء من مقدماته اللازمة (٤) . وضروريا لأن الدراسات الفلسفية كانت تقاس بمقياس الحاجة والفائدة ، بل وبمقياس الشرع أيضا ، فحرم بعضها وأبيح البعض الآخر. والمنطق خاصة مما أجيز الاشتغال به على الأرجح ، لما فيه من مزايا ، ولأنه لا يتعلق بشىء من الدين نفيا وإثباتا (٥) . وربما كان لازما ومما ينبغى تحصيله ، لأنه يعين على إثبات وجود الله وصفاته (٦) .

---

(١) "النطق الداخلى" و"النطق الخارجى" تعبيران لابن سينا يذكراننا بتقابل آخر مشهور لدى الرواقيين وهو λόγος ἐνδιάθετος λόγος προφορικος

(٢) ليس ابن سينا أول مبتكر لتشبيه المنطق بالنحو أو بالعروض ، فقد سبقه الفارابى إلى ذلك (إحصاء العلوم ، ص ٥٨ — ٦٢) ؛ وردده الغزالى (معيار العلم ، ص ٢٦) ؛ وأخذ به المناطقة المتأخرون ، وكلنا يذكر بيت " السلم " المشهور :

وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان

(٣) ابن سينا ، المدخل ، ص ٢٠ .

(٤) Madkour, *L'Organon*, p. 48-49.

(٥) الغزالى ، المنقذ من الضلال ، طبعة القاهرة ، ص ٣ .

(٦) ابن رشد ، فصل المقال ، طبعة القاهرة ، ص ٣ .

٣ – الفكر واللغـــة :

المعنى وثيق الصلة باللفظ الذى يؤديه ، لأنه ثوبه ووعاؤه ، وبدونه يضل ويصبح وكأن لاوجود له . فلا يمكن تبادله بين الأفراد ، بل ولا استحضاره فى ذهن الفرد الواحد، وقديما قالوا إن التفكير حديث نفسى . ومن هنا ارتبط التفكير باللغة ، واحتاج منطق المعانى إلى شيء من دراسة الألفاظ

وفى جو البلاغة والحوار اليونانى نشأ منطق أرسطو، وهو نفسه يشتمل على مباحث لفظية ولغوية متفرقة ، فنظرية المقولات تعتبر إلى حد ما تصنيفا لطائفة من الألفاظ ، وقد قامت على التفرقة بين المترادف والمشترك[١] . و" كتاب العبارة " أو " اللغة " كما يسمى أحيانا ، يشرح أجزاء الجملة ويبين كيفية تكوينها . ويمكن أن يعد " طوبيقا " دراسة مفصلة لطائفة من الألفاظ [٢] .

وبعد أرسطو اطردت السنة ، فلم يجد تلاميذه وشراحه بدا من أن يعرضوا فى دراستهم المنطقية لبعض مباحث الألفاظ ، على أنها مقدمة ووسيلة لا جزء وغاية ، وما " إيساغوجى " إلا تصنيف آخر لمجموعة منها . بيد أن الرواقيين لم يقفوا عند هذا الحد ، فقد غلوا وعدوا المنطق جدلا كله ، وخلطوا بينه وبين الريطوريقا ، فأضحت دراسة الألفاظ من أهدافه الأساسية .[٣] وبذا خرجوا على فكرة المعلم الأول مما دفع المشائين – وفى مقدمتهم الإسكندر الأفروديسى – أن يردوا عليهم ، ويثبتوا أن البحوث اللغوية ليست إلا مجرد تمهيد للمنطق [٤] .

---

(١) Barthélemy, *Catégories* dans *Dict. des Sc. philos.*, p. 248.

(٢) Hamelin, *Le système d'Aristote*, p. 97

(٣) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٨٧ — ٨٨ ؛

Janet et Séailles, *Hist. de la philos.*, p. 490.

(٤) Prantl, *Gesch d. Logik*, 436 et suiv.

وقد انتقلت هذه الخصومة كما انتقل غيرها إلى العالم العربى ، وفصل فيها ابن سينا على النحو الآتى : «وأما النظر فى الألفاظ فهو أمر تدعو إليه الضرورة، وليس للمنطق — من حيث هو منطق — شغل أول بالألفاظ إلا من جهة المخاطبة والمحاورة. ولو أمكن أن يتعلم المنطق بفكرة ساذجة إنما تلحظ فيها المعانى وحدها، لكان ذلك كافيا . ولو أمكن أن يطلع المحاور فيه على ما فى نفسه بحيلة أخرى ، لكان يغنى عن اللفظ ألبتة. ولكن لما كانت الضرورة تدعو إلى استعمال الألفاظ، وخصوصا ومن المتعذر على الروية أن ترتب المعانى من غير أن تتخيل معها ألفاظها، بل تكاد تكون الروية مناجاة من الإنسان لذهنه بألفاظ متخيلة ، لزم أن تكون للألفاظ أحوال مختلفة تختلف لأجلها أحوال ما يطابقها فى النفس من المعانى، حتى يصير لها أحكام لولا الألفاظ لم تكن. فاضطرت صناعة المنطق إلى أن يصير بعض أجزائها نظرا فى أحوال الألفاظ، ولولا ما قلناه لما احتاجت أيضا إلى أن يكون لها هذا الجزء، فلا خير فى قول من يقول إن المنطق موضوعه النظر فى الألفاظ من حيث تدل على المعانى ، وإن المنطق إنما صناعته أن يتكلم على الألفاظ من حيث تدل على المعانى ، بل يجب أن يتصور أن الأمر على النحو الذى ذكرناه . وإنما تبلد فى هذا من تبلد وتشوش من تشوش ، بسبب أنهم لم يحصِّلوا بالحقيقة موضوع المنطق »[1].

فَصل فى الموضوع صريح وواضح ، فيه تأييد للمشائية ولاشك ، ولكنه يحمل فى ثناياه ضربا من التجديد ، فابن سينا فى رجائه أن تحل محل الألفاظ وسائل أخرى لأداء المعانى ، يتنبأ باللوجستيقا قبل أن تتكون بنحو ثمانية قرون . ولاغرابة فإنا نراه فى "رسالته النيروزية" يحاول أن يؤدى بعض المعانى الفلسفية بواسطة الحروف، فيكوِّن من ذلك ضربا من الجبر الفلسفى شبيها بالجبر المنطق الذى انتهى اليه رسل وكوتورا [2] .

---

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٢) ابن سينا ، تسع رسائل ، ص ١٣٨ — ١٤٠ .

وفى انتظار تحقيق هذا الرجاء لم يكن فى وسعه إلا أن يجارى السلف، ويدرس فى المنطق مع المشائين بعض المباحث اللفظية، على أساس أنها وسائل فحسب. فيقسم اللفظ إلى مفرد ومركب ، والمفرد إلى جزئى وكلى [١]. ويعرض لنسبة الألفاظ إلى المعانى ، هل هى مشتركة كإطلاق لفظ العين على الباصرة وعلى الينبوع ، أو متواطئة كدلالة الحيوان على الإنسان والفرس والطير ؛ أو مترادفة كدلالة الراح والعقار على الخمر ، أو متزايلة لا صلة بينها كالنبات والحيوان والجماد [٢]. ويفصّل القول فى الدلالات مبينا أنها أنواع ثلاثة : دلالة مطابقة مثل دلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق، ودلالة تضمن مثل دلالة الإنسان على الحيوان فقط أو على الناطق ، ودلالة التزام مثل دلالة المخلوق على الخالق [٣] .

ولا نزاع فى أن هذه المباحث قد تأثرت بما عاصرها فى الإسلام من دراسة الألفاظ فى اللغة والفقه والتفسير [٤]. ولكنها تصعد أيضا إلى أصلين يونانيين : أحدهما أرسطى ، ونعنى به مقدمة "المقولات" التى عالج فيها أرسطو التفرقة بين المشترك والمترادف [٥]. والآخر رواقى ، وهو تلك الدراسة الواسعة للدلالات ، ونظرية الـ "ليكتون" λεκτόν إلى حد أن سمى المنطق الرواقى علم الدلالات . وقد عنى الرواقيون خاصة بدلالة الالتزام التى نجدها بنصها لدى ابن سينا ومناطقة العرب، وإن كانوا لم يرتبوا عليها كل ما قصد إليه الرواقيون من نتائج [٦]

---

(١) ابن سينا ، المدخل ، ص ٢٤ — ٢٦ ؛
Madkour, *L'Organon*, p. 61-52

(٢) ابن سينا ، مقولات (مخطوط الشفاء ، المتحف البريطانى) .

(٣) ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ص ١٤ — ١٥ .

(٤) Madkour, *L'Organon*, p. 60-61, 62-63.

(٥) Aristote, *Catégories*, ch. I,§ 1,5.

(٦) Brochard, *Etudes d. philos. anc. et moderne*, Paris, 1912, p. 221-225.

٤ – الوجود الثلاثى للكليات :

ببعض جمل عابرة فى أول "إيساغوجى" استطاع فرفور يوس أن يثير فى القرون الوسطى مشكلة من أعقد المشاكل الفلسفية ، وكأنما كان لابد لها أن تثار ، لأنها تلخص الخلاف بين الأفلاطونية والمشائية[١] . وهذه الجمل هى : «لن أبحث مطلقا عما إذا كان للأجناس والأنواع وجود فى الخارج ، أو هى مجرد تصورات فى الذهن ؟ وإن كانت موجودة فى الخارج فهل هى جسمية أولا جسمية ؟ وإن كانت لاجسمية فهل هى مفارقة للمحسوسات أو لا وجود لها إلا فيها ؟ هذا بحث دقيق ويقتضى مناقشة طويلة لا يتسع لها موضوعنا»[٢] . وضع فرفور يوس المشكلة إذن ، وترك للخلف حلها .

والأمر هو أن لدينا الأشخاص من جانب ، والأجناس والأنواع من جانب آخر . ونحن نقرر وجود الأولى لأننا نراها ونلمسها ونحس بها فى اختصار ، أما الثانية فسبيلنا إليها تصور ذهنى محض . فهل نعترف لها بوجود واقعى كوجود الأشخاص ، أو هى ليست إلا ضربا من التجريد الذى كوّنه الذهن واللغة ، أو نثبت لها وجودا من نوع خاص غير الوجود الحسى ؟ هذه هى المذاهب الثلاثة التى أثارتها مشكلة الكليات ، وهى الواقعية ، والاسمية ، والتصورية .

فالواقعيون ، وفى مقدمتهم القديس أنسيلم ، يرون أن الأجناس والأنواع أشياء موجودة ، بل هى كل الأشياء ، لأنها النماذج الأولى للعالم الحسى جميعه[٣] . والاسميون ، وعلى رأسهم رسلان ، يذهبون إلى أنها ليست إلا مجرد ألفاظ

---

(١) Charles, *Nominalisme*, dans *Dict. d. sc. philos.*, p. 1198.

(٢) Porphyre, *Introduction*, ch. *1*, §3

(٣) Charles, *Réalisme*, dans *Dict. d. sc. ph*[illegible]., p. 1462; Gilson, *La philos. au moyen âge*, Paris, 1922, *t.I*, *p.* 27 et suiv.

تدل على أفكار عامة ، و بما أنها لا ترى فلا وجود لها ، لأن الموجود هو المرئى وحده[1] . ورغبة فى التوفيق بين هذين الطرفين المتقابلين يحو التصوريون ، ومنهم أبيلار ، منحى وسطا ، فيقولون إن الكليات ليست أشياء ولا ألفاظا ، وإنما هى تصوّرات ذهنية ؛ و إذن لها وجود ذهنى منطق ، أما خارج الذهن فلا وجود لها بحال[2] . ولهذه الاتجاهات الثلاثة أثرها فى الفلسفة المسيحية ، وخاصة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر[3] .

وكان طبيعيا أن تلفت عبارة فرفوريوس أنظار المسلمين بدورهم ، ولكن من الخطأ أن يظن أنها أثارت لديهم ما أثارته لدى المسيحيين[4] . وأوضح صدى لها ، فيما وصلنا ، ما نلحظه عند ابن سينا فى "المدخل" ، فيعقد لها فصلا من أطول فصوله ، عنوانه : "فى الطبيعى والعقلى والمنطقى"[5]. وفيه يبين أن للمعانى أنواعا ثلاثة من الوجود ، فهى موجودة أزلا فى العقل الفعال مع الصور والنفوس البشرية ، قبل الكثرة والأعيان الخارجية[6]. وموجودة أيضا فى الكثرة والأعيان الخارجية وجودا عرضيا و بالقوة ، لأنها أفرادها وما صادقها ، وكل كلى موجود فى أفراده[7] . وموجودة أخيرا فى الذهن بعد الكثرة والأعيان الخارجية ، لأنها مستمدة منها ومأخوذة عنها[8] . ومن هنا نشأت الأقسام الثلاثة للجنس : طبيعى قبل الكثرة ، وعقلى فى الكثرة ، ومنطقى بعد الكثرة .

---

(١) Charles, *Nominalisme* dans *Dict. d. sc. Philos.*, p. 1198.

(٢) Id., Abailard, *Conceptualisme*, dans *Dict. d. sc. philos.*, p. 2-3;290.

(٣) Jourdain, *La philos. de St. Thomas d'Aquin*, Paris 1858. t.I., p. 263 et suiv.

(٤) يزعم شميلدرز (*Essai*, p.7) وكارادى فو (Aflāṭūn, dans *Encyc. de l'Islam*). خطأ أن مشكلة الكليات وجدت لدى المتكلمين أو الفلاسفة المسلمين بقدر ما عرفت لدى المسيحيين .

(٥) ابن سينا ، المدخل ، ص ٦٥ — ٧٢ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

ويلاحظ ابن سينا – وبحق – أنهم درجوا على أن يقصروا هـذا الوجود الثلاثى على الأجناس والأنواع، مع أنه يصدق على الكليات جميعها[1]. ويلاحظ أيضا أن الكلى فى نفسه معنى ، سواء أكان موجودا فى الأعيان أم متصوّرا فى النفس، وهو بهذا لا يوصف بأنه عام أو خاص ، وإنما يلحقه هذا الوصف من الأفراد التى يصدق عليها[2]. فالجنس الطبيعى هو تلك الحقيقة الكلية فى ذاتها والصالحة لأن تصبح جنسا بتصوّرها فى الذهن أو بتحققها فى الأفراد[3] . والجنس العقلى هو القدر المشترك بين الأفراد من هذه الحقيقة ، والأساس الذى يقوم عليها انطواؤها تحت صنف واحد[4] . والجنس المنطقى هو مجموعة الخصائص المقولة على كثيرين مختلفين بالنوع[5] .

وعلى هذا فالكلى له نواح ثلاث ، ناحية ميتافيزيقية يلحظ فيها أنه صورة مجردة خارجة عن الزمان والمكان ، وأخرى موضوعية يصدق بها على أفراد كثيرين ندركه فيها ونستخلصه منها ، وثالثة منطقية يصبح بها مجموعة من الخصائص التى تقال على صنف معين . غير أن التفرقة بين الأجناس الثلاثة لاتخلو من غموض وقلق ، وأسماؤها لاتتلاقى مع مسمياتها تمام الملاقاة . ويظهر أن ابن سينا أحس بذلك ، ولم يعد إليها فى بحوثه الأخرى ، واكتفى بذكر الكلى مبينا ما له من وجود ثلاثى[6] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر مثلا "الشفاء" (مخطوط المتحف البريطانى) ص ٣٦٠ (ا) سطر ١٦ وما بعده .

لم يكن ابن سينا أول من قال فى العالم العربى بهذا الوجود الثلاثى ، فقد سبقه إليه فيما يظهر يحيى بن عدى المترجم اليعقوبى والمنطق المشهور الذى توفى قبل مولده ببضع سنين [١] . وتعزى إليه رسالة عنوانها : « فى الموجودات الثلاثة الإلهى والطبيعى والمنطق » ؛ وفى العنوان ، و إن لم تصلنا هذه الرسالة ، ما يؤذن بأنها ترتبط بنظرية الوجود الثلاثى السابقة [٢] . ولعله أخذها عن أستاذه الفارابى الذى يعرضها عرضا يلتقى مع ما قال به ابن سينا . فيجيب عن سؤال وجه إليه عن كيفية وجود الكليات قائلا إنها موجودة وجودا ثانويا فى الأشخاص ، ولذا سميت الجواهر الثوانى ، وموجودة أيضا فى ذاتها من حيث إنها قائمة باقية والأشخاص ذاهبة مضمحلة [٣] . ويضيف إلى هذا أنها توجد فى الذهن بعد أن تصبح معقولات جردت من الأفراد واستخلصت منها [٤] .

واضح أن هذا الوجود الثلاثى ضرب من التوفيق الذى امتازت به الفلسفة الإسلامية ، فالكلى الأزلى القائم بذاته الموجود فى العقل الفعّال شبيه كل الشبه بمثل أفلاطون ، والكلى الملحوظ فى أفراده والمستخلص فى الذهن ، ليس شيئا آخر سوى نظرية التجريد الأرسطية . وعلى هذا نخطئ إن قلنا مع مونك إن فلاسفة الإسلام لا يمكن أن يكونوا إلا اسميين ، أو قلنا مع كارادى فو إنهم واقعيون [٥] . ذلك لأنهم فى الحقيقة جمعوا بين الاسمية والواقعية ، بين الأرسطية والأفلاطونية ، على نحو ما صنع رجال مدرسة الإسكندرية [٦] . والكليات عندهم من حيث اكتسابها مستمدة من الأشخاص والعالم الحسى ، ومن حيث أصلها ومنشؤها موجودة أزلا فى العقل الفعّال .

---

(١) توفى يحيى هذا سنة ٣٦٤ هـ ، قبل ميلاد ابن سينا بست سنوات .

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٣٦٣ ؛ Périer, *Yahya b. 'Adi.* p. 96.

(٣) الفارابى ، الثمرة المرضية ، ص ٨٧ — ٨٩ .

(٤) Madkour, *La place d'Al-Fārābī*, p. 139-146.

(٥) Munk, *Mélanges*, Paris, 1927, p. 327; Carra de Vaux, *Aflâtûn*, art cit. p.179.

(٦) Vacherot, *Hist. crit. de l'Ecole d'Alex.*

ولعل هذا التوفيق هو الذى مكّن لنظرية الوجود الثلاثى الإسلامية فى العالم المسيحى . فألبير الأكبر يعتنقها بنصها ، والقديس توماس بعد أن شرح نظرية أرسطو الاسمية أحل الكليات محلها فى العقل الفعّال[١] . وزعيما الدومينيكانية هذان يفرقان كما فرق ابن سينا بين الأجناس الثلاثة : الجنس الطبيعى (genus naturale)، والجنس العقلى (genus mentale)، والجنس المنطقى (genus logicum)[٢] . ولم تكن المدرسة الفرنسسكانية أقل تأثرا بهذه النظرية من زميلتها الدومنكانية ، فدنس اسكوت ممثلها الأول يقول بها ، ويقرر أن للكليات ثلاثة أنواع من الوجود[٣] . وهناك تعبيرات مشهورة فى اللاتينية ، وهى وحدها تفصح عن أصلها العربى ، فيقال إن الكليات موجودة ante res (قبل الكثرة) ، أو in rebus (فى الكثرة) ، أو post res (بعد الكثرة)[٤] . وباختصار ارتبطت نظرية الوجود الثلاثى بنظريتى العقل والمعرفة الإسلاميتين ، وشاركتهما فيما أحدثتاه من حركة فى الفلسفة المسيحية ، وخاصة فى القرن الثالث عشر .

(ج) المخطوطات التى قام عليها

لقد كان مخطوط المتحف البريطانى نقطة البدء لهذا النشر الذى نحن بصدده، ذلك لأنه أول مخطوط وقعت يدنا عليه ، ويرجع عهدنا به إلى نحو خمس عشرة سنة مضت ، يوم أن اتخذناه أساسا لدراسة تاريخ "الأرجانون" فى العالم العربى[٥] . ولم نلبث أن ضممنا إليه مخطوطات أخرى منها ما هو أصح منه

(١) Janet et Séailles, *Hist. de la philos.* p. 510; Jourdain, *La philos. de St. Thomas II*, p 373.

(٢) Janet et Séailles, op. cit., p. 511.

(٣) Gilson, *Avicenne et le point de départ de Duns Scot.*, dans *Archives*, 1928, p. 129 et suiv.

(٤) Prantl. *Gesch. d. Logik II, 347 - 350.*

(٥) Madkour, *L'Organon*, p. 20.

وأصدق ، جمعناها من القاهرة واستانبول ولندن . وتوفر لدينا منها عدد لا بأس به ، واستخدمناها جميعا ما استطعنا ، وأثبتنا رواياتها فى الهامش عند الاختلاف والمغايرة ، ورمزنا لكل واحد منها برمز خاص . وسنصفها باختصار ، ونوازن بينها بوجه عام ، وها هى ذى مرتبة ترتيبا أبجديا على حساب رموزها :

(١) بخيت	ورمزه ب	(٧) على أميرى	ورمزه عا
(٢) بخيت (هامش)	« بخ	(٨) متحف بريطانى	« م
(٣) دار الكتب	« د	(٩) نور عثمانية	« ن
(٤) دار الكتب(ا)	« دا	(١٠) مكتب هندى	« هـ
(٥) سليمانية (داماد)	« س	(١١) ينى جامع	« ى
(٦) عاشر	« ع		

١ و ٢ — بخيت وبخيت (هامش) :

مكتبة الأزهر ، ٣٣١ خصوصية ، ٢٤١٥ بخيت ؛ ١٢,٥ × ٢٢ ، ٩ × ١٧,٥ ؛ ٤٤١ ورقة ، ٤٢٧ للنص ، ١٤ للفهرس بأكمله ، عدا ورقات بيضاء ؛ ٤١ سطرا × ٢٧ كلمة فى المتوسط .

ظاهره : عنوان بخط مختلف ، بقلم فارسى ، وهو : "كتاب الشفاء لأبى على بن سينا مكمل ومتمم لا نظيرله" ، وتمليكات آخرها للشيخ بخيت الذى وقفه على أهل العلم سنة ١٣٢٨هـ

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . الحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وآله أجمعين ، هذا كتاب "الشفاء" للشيخ أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا رضى الله عنه ، وفى صدره كلام لأبى عبيد عبد الواحد بن محمد الجوزجانى . قال أبو عبيد : أحمد الله على نعمه » .

آخره : « ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية يكاد أن يصير ربا إنسانيا ،وكاد أن تحل عبادته بعد الله تعالى، وهو سلطان العالم الأرضى وخليفة الله فيه » .

مشتملاته : كامل الأجزاء .

خطه نسخى دقيق مقروء واضح، منقوط ،مضبوط عند الحاجة ، حبره أسود، عناوينه وأشكاله الهندسية بالحبر الأحمر ؛ ورقه جيد و إن يكن فيه ترميم وآثار رطوبة وأكل أرضة وخاصة فى السبع ورقات الأولى .

ليس فيه اسم الناسخ ، مما يدل غالبا على أنه غير محترف ، ولا مكان النسخ ولا زمانه، والأرجح أنه يصعد إلى القرن السابع الهجرى .

***

على هامشه تصحيحات وتعليقات بقلم الناسخ نفسه ، والتصحيحات مأخوذة عن نسخة أخرى يشير إليها الناسخ بحرف (خ) ، وهى التى سميناها بخيت (هامش) ، ورمزنا لها بحرفى (بخ) ، واعتبرناها مخطوطا قائما بذاته ، لما اشتملت عليه من روايات ؛ والتعليقات تدل على أن الناسخ من المشتغلين بالعلوم الفلسفية .

٣ — دار الكتب :

دار الكتب ، ٨٩٤ فلسفة ؛ ١٨,٥ × ٢٤,٥ ، ١١,٥ × ١٨,٥ ؛ ٨٧٦ ورقة ، ٢٩ سطرا × ١٨ كلمة .

ظاهره : العنوان الآتى : "كتاب الشفاء للشيخ أبو على سينا" ، وعليه أختام مختلفة ولا تمليك به .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . رب زدنى علما بالحق — المقالة الأولى فى الفن الأول من الجملة الأولى وهى فى المنطق . فصل فى الإشارة إلى ما يشتمل عليه الكتاب قال الشيخ أبو على » .

آخره : آخر (ب) .

مشتملاته : الكتاب جميعه عدا ٢٠ ورقة من أول الإلهيات .

خطه تعليق دقيق ممتاز ، غير مضبوط ولا منقوط ، صعب القراءة ، حبره أسود وعناوينه بالحبر الأحمر؛ فيه بياض للأشكال والرسوم الهندسية والموسيقية، ولا هوامش فيه ، ورقه أصفر جيد لا خرم فيه ، ولا أكل أرضة .

ذكر اسم ناسخه ، ولم يذكر مكان النسخ ولا زمانه ، ونرجح أنه يرجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى .

٤ — دار الكتب (ا) :

دار الكتب، ٢٦٢ حكمة ؛ ٢١ × ٢٦ ، ٨ × ١٩ ؛ تسع مجلدات متفاوتة الحجم ، أكبرها ٥٥٠ ورقة ، والباقى غير مرقم ، ٢١ سطرا × ١٠ كلمات .

ظاهره : عنوان الكتاب بدون تمليك .

أوله : أول (ب) .

آخره : آخر (ب) .

مشتملاته : كامل الأجزاء .

خطه نسخى جميل ، منقوط وغير مضبوط ، عناوينه بالحبر الأحمر ؛ فيه أخطاء كثيرة ، و بياض لكلمات لم يعرفها الناسخ ، وهامش واسع بدون تعليق ولا تصحيح ، ورقه جيد وحديث .

من نَسْخ دار الكتب ، و بنساخ مختلفين ، فرغ منه سنة ١٣٣٧هـ ، ومأخوذ من نسخة أخرى تصعد إلى ٩٩٢ هـ .

٥ — سليمانية (داماد) :

داماد ، ٨٢٤ ؛ ١٧,٥ × ٢٧ ، ١١ × ١٩,٥ ؛ ٤٢٠ ورقة ، ٣٠ سطرا × ١٦ كلمة .

ظاهره : " أول فى شفاء ابن سينا فى قسم المنطقيات " ، وعليه أختام وتمليكات مختلفة .

أوله : أول (ب) .

آخره : (من كتاب الشعر) " وأما هاهنا فلنقتصر على هذا المبلغ ، فإن وكد غرضنا الاستقصاء فيما ينتفع به من العلوم " .

مشتملاته : مقصور على المنطق .

خطه نسخى غير جيد ، قليل النقط خال من الشكل ، عديم الفواصل بين الفصول ، صعب القراءة ، فيه تصحيحات وهوامش فى الصفحة الأولى فقط تعزى إلى نسخة أخرى .

لا يعرف ناسخه ولا مكان نسخه ، ونص على أنه فرغ منه سنة ٨٣٤ هـ .

٦ — عاشر :

عاشر ، ٢٠٧ ؛ ١٨,٥ × ٢٦ ، ١١,٥ × ١٨ ؛ ٣٤٩ ورقة ، ٢٣ سطرا × ١٦ كلمة .

ظاهره : بقلم فارسى " الأول من الشفاء لأبى على " ، وعليه تمليكات آخرها باسم عبد القادر مصطفى عاشر .

أوله : أول (ب) .

آخره : " تم الجزء الأول من كتاب الشفاء وهو القياس " .

مشتملاته : فنون المنطق الأولى الأربعة .

خطه نسخي جميل ، منقوط كثير الضبط ، حبره أسود وعناوينه بالحبر الأحمر ، فيه اختصارات متداولة ، وتصحيحات بخط الناسخ ، وتعليقات بقلم آخر ، به خرم كبير في " المدخل " .

ذكر اسم ناسخه ، ولم يذكر مكان نسخه ، ونص على أنه فرغ منه سنة ٦٨٠ هـ .

٧ — علي أميري :

علي أميري ، ١٥٠٤ ؛ ١٣ × ٢٣,٥ ، ١٠ × ٢٠ ؛ ٢٢٤ ورقة ، ٣٥ سطرا × ١٣ كلمة .

ظاهره : " كتاب منطق الشفاء لأبي علي بن سينا " ، وأختام كثيرة مطموسة .

أوله : أول (ب) .

آخره : «فإذن يجب أن تكون الواسطة في الفراسة أعم من الأصغر لا محالة ، ومساوية للأكبر ، وترجع إلى القياسات المذكورة» .

مشتملاته : فنون المنطق الأولى الأربعة .

خطه نسخي واضح مقروء ، قليل النقط غير مشكول ، عناوينه بخط أكبر ، ولا تعليق فيه ولا تصحيح .

لم يذكر اسم ناسخه ولا مكان نسخه ، ونص على أنه فرغ منه سنة ٦٧٤ هـ .

٨ — متحف بريطاني :

British Museum ، ٧٥٠٠ ؛ ١٤ × ٢٠ ، ١٠ × ١٨ ؛ ٣٨٤ ورقة ، ٤٩ سطرا × ٢٥ كلمة .

ظاهره : عنوان الكتاب وتمليك لمن يدعى عاصم بن إبراهيم بن حيدر ، وبعض كلمات فارسية .

أوله : أول (ب) .

آخره : فصل فى المعاد ، ونهايته " فحينئذ ربما تخيلنا منها خيالا طفيفا وضعيفا ، وخصوصا ... "

مشتملاته : المنطق والطبيعيات والإلهيات ما عدا المقالة الأخيرة .

خطه نسخى مقروء صغير ، منقوط فى غير عناية ، مضبوط فى غير دقة ، فيه اختصارات مثل " يق " (يقال) و " ح " (حينئذ) ؛ فيه أخطاء إملائية واضحة ؛ والنسخة خزائنية محلاة .

لا ذكر للناسخ ولا مكان النسخ أو زمانه ، والأرجح أنه من صنع القرن الحادى عشر الهجرى .

٩ — نور عثمانية :

نور عثمانية ، ٢٧٠٨ ؛ ١١,٥ × ٢٠ ، ٧ × ١٤,٥ ؛ ٦٦٦ ورقة ، ٢٩ سطرا × ٢٠ كلمة .

ظاهره : ختم وتمليك .

أوله : أول (د) .

آخره : لم يصلنا بعد .

مشتملاته : المنطق والطبيعيات والإلهيات ، ولم يصلنا منه إلا المنطق عدا الفن التاسع .

خطه نسخى متوسط القراءة ، منقوط غير مضبوط ؛ عناوينه بالحبر الأحمر .

لم نقف على ناسخه ، ولا على مكان نسخه ولا زمانه ، والأغلب أنه يرجع إلى القرن العاشر الهجرى .

١٠ — مكتب هندى :

India Office ، ٤٧٥٢ ؛ ١٥ × ٢٢ ، ١٠ × ١٨ ؛ ٤١١ ورقة ؛ ٣٠ سطرا × ٢٠ .

ظاهره : تمليك وترجمة مختصرة لابن سينا .

أوله : أول (ب) .

آخره : آخر (س) .

مشتملاته : فنون المنطق التسعة .

خطه نسخى واضح حديث ، منقوط غير مضبوط ، ليست فيه أخطاء إملائية ، بهامشه تصحيحات ؛ النسخة خزائنية نفيسة محلاة فى أول صفحة بالذهب .

كتبها ناسخ فى كشمير سنة ١١٤٨ هـ ، نقلا عن ناسخ آخر فى سنة ٨٩١ .

١١ — ينى جامع :

ينى جامع ، ٧٧٢ ؛ ٢١ × ٢٨ ، ١٥ × ٢٠,٥ ؛ ٣١٠ ورقات ، ٣١ سطرا × ٢٣ كلمة .

ظاهره : عنوان داخل حلية ، وعنوان جانبى : "كتاب منطق الشفاء" ، وترجمة مختصرة لابن سينا ، وتمليكات تصعد الى سنة ٩٠٢ هـ .

أوله : أول (ب) .

آخره : آخر (س) .

مشتملاته : فنون المنطق التسعة .

خطه نسخى حسن واضح ، منقوط وغير مضبوط ، عناوينه بالحبر الأحمر ؛ الورقات ١٠ — ٧٤ بخط آخر أحدث .

لا ذكر للناسخ ، ولا لمكان النسخ ، ونص على أن تاريخه سنة ٦٢٨ هـ .

* * *

هذه هى المخطوطات التى عوّلنا عليها فى هذا الجزء ، ولو كانت كلها فى أيدينا منذ البداية لكان لنا إزاءها شأن آخر ، إن فى الإحالة عليها وذكر رواياتها ، أو فى ربط بعضها ببعض. ولكنها وصلتنا تباعا فسوينا بينها ، ونظرنا إليها نظرة متعادلة إلى أن يقوم الدليل على العكس. وكانت تجربتنا فى هذا طويلة مضنية أحيانا ، إلا أنا نرجو أن يستفاد منها فى الأجزاء التالية .

وقد أسفرت عن أن هذه المخطوطات متفاوتة تاريخا وقيمة . فخمسة منها تصعد إلى القرن السابع الهجرى على الأقل ، وهى : ب ، بخ ، ع ، عا ، ى ؛ وواحد إلى القرن التاسع ، وهو س ؛ وآخر إلى القرن العاشر ، وهو ن ؛ واثنان إلى القرن الحادى عشر ، وهما د ، م ؛ وواحد إلى القرن الثانى عشر ، وهو هـ ؛ والأخير إلى القرن الرابع عشر ، وهو دا . والتزمنا فى إثبات تاريخها النص إن وجد ، وإلا رجحناه اعتمادا على تباين الخطوط وما امتاز به كل عصر من طريقة خاصة فى الكتابة. ولهذا التاريخ أثره فيما يمكن أن يعقد بينها من صلة ، وما يعين على رد بعضها إلى بعض ، أو رد المتعاصر منها إلى أصل أعلى .

وإذا أخذنا مبدأ "التلازم فى الوقوع" أساسا لافتراض نسب بينهما ، أمكن أن نلاحظ أن ب ، س يلتقيان فى أكثر من موضع ، مما يؤذن بأن أحدهما يرجع إلى الآخر أو أنهما معا يصدران عن أصل واحد . وبالمثل يمكن أن نعقد صلة بين ن ، د وبين ع ، ى . ولعل هذه الستة ترجع إلى مصدر مشترك . ولن نحاول الدخول فى تفاصيل هذه الافتراضات ، فنظرة إلى ما أثبتناه فى الهامش من روايات كافية لتوضيحها . على أنه لم يحن الوقت بعد للبت فيها برأى قاطع ، ولا يزال الأمر يتطلب مقارنات أخرى ، وعسانا نستكمل هذا فيما يلى من أجزاء . وإنما أردنا فقط أن نوجه النظر إلى أن فى الإمكان محاولة إثبات نسب بين مخطوطات "الشفاء" العديدة ؛ ولهذه المحاولة أثر آخر ، وهو أنه إن لم يقطع بهذا النسب فإنه يعين على ترتيب هذه المخطوطات ترتيبا قيميا .

ولقد كشف درسنا لما استخدمناه فى "المدخل" من مخطوطات عن أنها متفاوتة فى قيمتها ، بحيث يمكن قسمتها إلى ثلاث طوائف متميزة . ففى قمتها نضع "ب" الذى نرى أنه أصحها وأوثقها ، لأنه ، فضلا عما امتاز به من نقط وضبط ، يشتمل على تصحيحات وتعليقات تؤذن بدقة ونزوع نحو التحقيق العلمى ، هذا إلى أن ناسخه — فيما يبدو — ملم بما ينسخه ومدرك له . ومن حسن الحظ أنه مكتمل الأجزاء ، مما سيجعله دعامة ثابتة لنشر "الشفاء" جميعه . وإذا كنا قد التزمنا طريقة "النص المختار" فإنا نستطيع أن نقرر فى آخر الأمر أن نصنا الذى اخترناه فى "المدخل" أشد ما يكون التقاء معه .

ويكاد "س" يتساوى مع هذا المخطوط فى الرتبة ، وهما كما قدمنا متشابهان ومتلاقيان فى رواياتهما . وكثيرا ما طابق ترجيحنا ما أثبتاه ، لأنه الأظهر والأسلم .

وفى الطرف الآخر نضع "د ا"، فهو أضعفها ولا يعول عليه ، ولهذا لم نلبث أن صرفنا النظر عنه . وبين هذين الطرفين تجىء المخطوطات الأخرى ، إذا ما استثنينا "بخ" الذى هو مكمل للمخطوط "ب". ولا ننكر أن هذه المخطوطات السبعة تتفاوت فى قيمتها نوعا ، إلا أنه تفاوت لا يفصل بينها فصلا تاما ، وفى بعضها ما يكمل البعض الآخر .

ومن محاسن الصدف أنه فى الوقت الذى كنا نحقق فيه نص المدخل العربى كانت الآنسة دلفرنى بصدد تحقيق نصه اللاتينى ، وتوفر لها فى ذلك عدد من المخطوطات لا بأس به[1] . وقد اشتركت معنا زمنا ، وحاولنا ما أمكن مقابلة الترجمة اللاتينية بالأصل العربى . ونرجو أن يكون لهذه المقابلة أثرها فيما ستنشره . ووضعت تحت تصرفنا أخيرا نسخة مخطوطة من النص الذى ارتضته . وكم كنا

---

(1) Mlle Marie Thérèse d'Alverny, conservateur - adjoint des manuscrits de la Bibliothèque Nationale.

نود أن نضيف هذا إلى ما أثبتناه من روايات، ونبرز أثره فى الجزء الذى ننشره اليوم ، ولكنا خشينا أن يعد من سبق الحوادث الإحالة على نص لم ينشر بعد، خصوصا ولا يزال لمحققته كامل الحرية فى أن تغير فيه وتبدل . واكتفينا بأن نستعين به فيما شئنا أن نستخلصه فى الخاتمة من مصطلحات عربية مع ذكرمقابلها فى اللاتينية ، وأن نرجح فى ضوئه رواية على أخرى إذا التبس الشكل ، لأن الكتابة اللاتينية فى هذا فاصلة .

*
* *

وقبل أن أختم هذه المقدمة ، لا يفوتنى أن أسجل ذلك المجهود المشكورالذى بذله الأب جورج شحاته قنواتى ، والأستاذان محمود الخضيرى ، وأحمد فؤاد الأهوانى فى إخراج هذا الجزء ، ولا يساورنى شك فى أنهم سيتابعون حلقات سلسلة " الشفاء " الطويلة التى نرجو لها أن تتم ، وتتم قريبا[1] .

يونيه ١٩٥١

(١) ساهم أيضا سعيد افندى زايد المحرر بمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى هذا العمل بنصيب نحرص على أن نسجله .

المدخل